
فصل الخطاب
في وجوب الأخذ بالأسباب
ومشروعية الإعداد للمهدي حبيب البارئ التواب
حركة أنصار المهدي عليه السلام
إعداد: وائل عياش العراقي

فصل الخطاب

في وجوب الأخذ بالأسباب

ومشروعية الإعداد للمهدي حبيب البارئ التواب

إعداد: وائل عياش العراقي

المقدمة

بسم الله، والحمد له القائل: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ}[١].

ثم الصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبدالله الصادق الأمين.

وأما بعد:

فإن قوانين ونواميس الله تعالى عديدة، ولكل حكمة، إما علمها الخلق أو بعضهم، أو قضاها في اللوح المحفوظ.

ومن القوانين والنواميس هو أمر (الأخذ بالأسباب).

وهذا حتمي أمره في كل أمر حتى الأمور القطعية والحتمية التحقق..، والتي وعد الله بتحققها..

والحكم في هذا كثيرة منها:

- تعظيم الأجر.
- الاختبار.
- إقامة الحجة.

ودلالة هذا الأمر له أصل في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن هذه ما حكته الآية الكريمة السابقة، حيث وأن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، إلا أنه تعالى يبلوا الناس بعضهم ببعض.

وقد قيل وصنف الكثير من الكلام في هذا الباب، وأني في هذه الرسالة سأنقل ما اختصرته من كلام هؤلاء، وقد نقلت بعض هذا الكلام بتصرف واختصار غير مخل بالمعنى.

---

١ محمد : ٤.

وما الجديد الذي أقدمه إلا أني أربطه بما يكون أو سيكون عليه أمر المهدي عليه السلام، لأن قضية المهدي عليه السلام من أبرز القضايا اليوم، والتي ما أدخر الأعداء والجهال والمنكرين جهداً في بث الشبهات حولها، ومن أهم الشبهات في رأيي هي مسائلة الإعداد لخروجه، وبعد كثير من البحث وتقصي الحقيقة في هذا الموضوع أتضح لي وبالبرهان القطعي على شرعية الإعداد للمهدي، وأني في هذه الرسالة المتواضعة أحاول الرد على من ينكر الإعداد له عليه السلام.

وبالله الهداية التوفيق ،،، وهو تعالى وحده من وراء القصد والسبيل ،،،

أخوكم/ وائل عياش

الفصل الأول: فلسفة الأخذ بالأسباب:

أهمية ومكانة الأخذ بالأسباب في الدين:

الأخذ بالأسباب هو من أساسات الدين، ومن تركه ذلك فقد ترك أساساً مهماً فيه، وأصبح يقول على الله وعلى رسله وعلى الدين ما لم ينزل به سلطاناً..

وإن المسلم مُطالب بأن يأخذ بكل الأسباب المشروعة التي لا تتعارض مع نص الدين. قال أهل العلم: الأخذ بالأسباب عبادة والاعتماد عليها شرك، ومن أخذ بالأسباب ولو كانت ضعيفة ثم اعتمد على الله تعالى فقد امتثل.

وأما ترك الأسباب فهو خطأ ينبغي الاستغفار منه، ومراجعة الدين، قد ثبت في الكتاب والسنة الصحيحة الحث على الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله، فمن أخذ بالأسباب واعتمدها فقط وألغى التوكل على الله فهو مشرك، ومن توكل على الله وألغى الأسباب فهو جاهل مفرط مخطئ، والمطلوب شرعا هو الجمع بينهما.

وقد سبق لنا بيان أن الأخذ بالأسباب مختلف مرتبة وحكماً، فهو يختلف باختلاف المسبب المطلوب إيجاده، فقد يكون الأخذ بالأسباب واجباً، وذلك إذا كان فعله لتحصيل واجب، وقد يكون الأخذ بالأسباب حراماً، وذلك إذا كان السبب المطلوب فعله يؤدي إلى حرام، وهكذا في المستحبات والمكروهات.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (ومما ينبغي أن يعلم ما قاله طائفة من العلماء، قالوا: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع).

ومعنى أن: (الالتفات إلى الأسباب قدح في التوحيد): أن الاعتماد على الأسباب، والاعتقاد بأنها مؤثرة بدون تقدير الله تعالى ومشيئته، يقدح في التوحيد؛ لأنه ليس هناك شيء يستقل بالتأثير بدون مشيئة الله تعالى.

ومعنى أن: (الإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع): أن من ترك الأخذ بالأسباب بالكلية، وظن أن هذا هو كمال التوكل والاعتماد على الله: فهذا قدح في التشريع، لأن الله تعالى شرع لنا الأخذ بالأسباب، وأمرنا بذلك في مواضع كثيرة، بل

دخول الجنة لن يكون إلا بأسبابه، وهي الإيمان والعمل الصالح، فمن ترك الأخذ بالأسباب: فلازم ذلك أنه لن يلتزم الشريعة وأحكامها.

والمؤمن يحقق التوحيد، فيعلم أن الأمر كله لله، ويمتثل الشرع، فيأخذ بالأسباب حيث أمر الشرع بذلك.

<u>الأخذ بالأسباب والدعاء:</u>

فإن الدعاء من أعظم الأسباب التي تعين على تحقيق المطلوب، كما قال الشيخ ابن تيمية في مجمع الفتاوى: (الأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدره الله وكتبه، فإن كان قد تقدم بأنه يرزق العبد بسعيه واكتسابه، ألهمه السعي والاكتساب، وذلك الذي قدره له بالاكتساب لا يحصل بدون الاكتساب وما قدره له بغير اكتساب كموت مورثه يأتيه به بغير اكتساب، والسعي سعيان: سعي فيما نصب للرزق كالصناعة والزراعة والتجارة، وسعي بالدعاء والتوكل والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك، فإن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

ويشرع فعل الدعاء قبل السبب واثنائه وبعده وآكده قبله، لما في ذلك من الاستعانة بالله في البداية فقد دعا النبي ﷺ ببدر قبل وقت المعركة وأمر من هم بأمر بالاستخارة وسؤال الله التيسير قبل الإقدام على الفعل الذي يريده.

<u>الأَخْذُ بِالأَسْبَابِ مِنْ صفات العارفين والعلماء والصالحين:</u>

والأخذ بالأسباب من صفات المرسلين وأولي الألباب والصالحين ومن تمسك بالهدى المستقيم، وتركه من شيم البطالين الدراويش الذين يريدون أن يعيشوا على الصدقات والهبات. وحتى قيل: أن الأخذ بالأسباب عبادة نتقرب بها إلى الله عز وجل.

فالذي ينام في بيته ويريد أن يرزقه الله دون أدنى تعب أو أخذ بأسباب الرزق مخالف لمنهج الأنبياء والصالحين، بل إن هذا المذهب كان له تأثيره السلبي على الإسلام والمسلمين في عصور الضعف حيث قعد بهم عن الأخذ بأسباب القوة والتفوق على الأعداء وقد كان يُرجى منهم أن يكونوا محركين العالم في تفوقه ورفعته بل وقيادته، ولكن ما هم فيه أكبر دليل على تخلفهم عن الأخذ بالأسباب!!

وفي أي عمل صغيراً كان أو كبيراً يجب أخذ الأسباب في الحسبان والاعتبار، فمن تكوين الدول والممالك إلى ترتيب أبسط الأعمال، حتى مسائل الزيارات التي تكون بين الأصدقاء..

ولو شاء الله رب العالمين، لجعل كل هذه الأشياء وغيرها – بقدرته المطلقة – غير محتاجة إلى سبب، ولكن هكذا اقتضت مشيئة الله تعالى وحكمته، الذي يريد أن يوجه خلقه إلى ضرورة مراعاة هذه السنة ليستقيم سير الحياة على النحو الذي يريده سبحانه، وإذا كانت سنة الأخذ بالأسباب مبرزة في كون الله تعالى بصورة واضحة، فإنها كذلك مقررة في كتاب الله تعالى، ولقد وجه الله عباده المؤمنين إلى وجوب مراعاة هذه السنة في كل شؤونهم الدنيوية، والأخروية سواء.

الأخذ بالأسباب والمرض:

وبناء على ما سبق؛ فالمريض مرضاً خطيراً إذا أخبره الطبيب بقرب أجله فانزعج، فإن ألتفات الطبيب والمريض لسبب الموت هذا له حالتان:

الحالة الأولى: أن يكونا موقنين بأن الموت والحياة، والمرض والشفاء، والمنع والعطاء، كل ذلك بيد الله ﷻ وحده، وأن هذا المرض أو غيره، سبب قد يؤدي إلى مسببه، كما يحصل عادة أو كثيراً، وقد يتخلف عن تأثيره، فلا يموت صاحبه، كما يتوقع الناس، وذلك يحدث أيضاً كثيراً؛ فالأجل في حقيقته لا يعلمه إلا الله تعالى.

ومع هذا اليقين بتقدير الله ﷻ، فإذا نظر الطبيب والمريض إلى أنّ الحس والمشاهدة والتجربة، قد بينت أنّ سنة الله في هذا المرض أنه من الأمراض الخطيرة التي تسبب الموت كثيراً، إذا انظرا إلى ذلك، فاعتبرا غلبة الظن هذه مع عدم الجزم، ومع الاعتقاد أنه تحت مشيئة الله تعالى فهذا الالتفات لا يقدح في توحيدهما، ولا يضرهما إن شاء الله.

الحالة الثانية: أن يغفلاً عن مشيئة الله تعالى؛ ويعتقدا أن المرض مستقل بالتأثير، ولم ينظرا إلى تقدير الله ومشيئته؛ فهذا هو الالتفات إلى السبب القادح في التوحيد.

ثانيا: أما وجوب الأخذ بالأسباب؛ فمن حيث الجملة: نعم؛ هو واجب، ولا يجوز الإعراض عن الأسباب كلها، وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة بالأمر بفعل الأسباب المشروعة، فمن يعرض عنها على وجه العموم يكون مخالفا للشرع.

أما من حيث الكلام عن السبب المعين، وهل يجب الأخذ به في الحالة المعينة، أو لا يجب؛ فهذا يختلف بحسب قوة تأثير السبب أو ضعفه، وبحسب ما يرجى تحقيقه من المصلحة، أو عدمها.

فمثلا: الأكل والشرب جعلهما الله سببا لحفظ النفس من الهلاك الذي يسببه الجوع والعطش، فالأخذ بهذا السبب واجب، حتى المضطر إلى أكل الميتة يجب عليه الأكل منها، فإن امتنع حتى مات جوعاً، فإنه يموت عاصياً.

<u>ومثال آخر</u>: تناول المريض للدواء: فالأدوية ليست دائما قوية في التأثير، وإن كان لها قوة في التأثير، فهي أحياناً لا تجلب مصلحة ضرورية، بل قد تدفع بعض الألم فقط ونحو هذا، ففي هذه الحالة لا يكون هذا السبب واجباً على المسلم، بل قد يكون مباحاً أو مستحباً.

وقد يكون السبب قوي التأثير، مرجو النفع، لكن يكون الصبر لصاحبه خيراً له من الأخذ به.

ومن الأدلة المشهورة على هذا: عن عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: (أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا)[٢].

فهذه المرأة اختارت الصبر على المرض، ووعدها الرسول ﷺ الجنة على ذلك.

وقد يجب التداوي في بعض الحالات: إذا كان يلزم من عدم تناوله هلاك النفس، أو تلف عضو من الأعضاء.

مثل ما علم في عصرنا أن مريض الزائدة إذا تركها حتى انفجرت، كانت سبباً في هلاكه، وإذا أزالها، كان هذا التداوي سبباً في نجاته، فهنا يجب عليه التداوي.

قال الشيخ ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (فإن الناس قد تنازعوا في التداوي هل هو مباح أو مستحب أو واجب؟، والتحقيق – أي الجواب –: أن منه ما هو محرم، ومنه

---

٢ رواه البخاري ومسلم.

ما هو مكروه، ومنه ما هو مباح؛ ومنه ما هو مستحب، وقد يكون منه ما هو واجب، وهو: ما يعلم أنه يحصل به بقاء النفس لا بغيره، كما يجب أكل الميتة عند الضرورة، فإنه واجب عند الأئمة الأربعة وجمهور العلماء، وقد قال مسروق: من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات دخل النار، فقد يحصل أحياناً للإنسان إذا استحر المرض ما إن لم يتعالج معه مات، والعلاج المعتاد تحصل معه الحياة كالتغذية للضعيف، وكاستخراج الدم أحياناً.

وقال الشيخ محمد بن عثيمين في مجموع الفتاوى: (التداوي على أقسام:

- فإذا غلب على الظن نفع الدواء، مع احتمال الهلاك بتركه: فالتداوي واجب.
- وإن غلب على الظن نفع الدواء، ولكن ليس هناك احتمال للهلاك بترك الدواء، فالتداوي أفضل.
- وإن تساوى الأمران فترك التداوي أفضل)..

ضوابط الأخذ بالأسباب:

الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله، بل ذلك مما أمر الشرع به، مع الاعتقاد أنَّ الضر والنفع بيد الله سبحانه، وأنه هو الذي خلق الأسباب والمسببات. فقيل: (التفات القلب إلى الأسباب قدح في التوحيد)، أي أن: الإنسان إذا اعتقد أن السبب هو الأصل في الجلب والمنع كان هذا قادحًا في توحيده وكان سببًا في إشراكه، ولا يستقيم توحيد العبد لله إلا إذا كان قلبه لا يلتفت إلى سبب من الأسباب التي جعلها الله لذلك. قال ﷺ قال ربنا: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)[٣].

ولا بد أن يوجد ارتباط حقيقي بين السبب والمسبب، ويعرف ذلك بالتجربة، أو العادة، أو الخبر الشرعي، ونحو ذلك.

ثم لا بد أن يكون السبب مشروعاً؛ فالغاية المحمودة المشروعة، لا بد أن تكون الوسيلة إليها أيضاً، جائزة مشروعة.

---

٣ صحيح مسلم.

ثم على العبد أن يتوسط في أمره بين الأمرين: فلا هو بالذي يهمل الأسباب مطلقاً، ولا هو بالذي يتعلَّق قلبه بها، إنما يتوسل بها، كما يتوسل الناس، في عاداتهم، وأمور حياتهم، ثم لا يتعلق قلبه بالسبب، بل بالخالق ﷻ، مالك الملك، ومدبر الأمر كله.

قال الشيخ ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (الِالْتِفَاتَ إلَى السَّبَبِ: هُوَ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَرَجَاؤُهُ وَالِاسْتِنَادُ إلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يَسْتَحِقُّ هَذَا، لِأَنَّهُ لَيْسَ مُسْتَقِلًّا، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ شُرَكَاءَ وَأَضْدَادٍ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ: فَإِنْ لَمْ يُسَخِّرْهُ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ، لَمْ يُسَخَّرْ).

وقيل: (محو الأسباب أن تكون أسبابًا قدحًا في العقل)، وهذه الجزئية من القاعدة تخاطب شريحة عريضة من مسلمي العالم اليوم، فكثير منهم يفعل ما يغضب ربه ويطلب ثوابه، ويبتعد عن مرضاته ويطلب جنته.

وهذا الفهم أي؛ محو الأسباب يتبناه بعض الجهلاء من أمتنا فيفعلون أفعالًا ويطلبون نتيجة لهذه الأفعال تتنافى والنتائج الحقيقية لهذه الأفعال إما فعلًا أو تركًا.

فمن أمثلة الفعل؛ طلب دخول الجنة وفعل المحرمات، وطلب النصر على الأعداء دون إعداد العدة، وطلب السفر وترك وسيلته من مركب وغيره.

ومن أمثلة الترك؛ ترك الزواج وإرادة الولد، وترك التداوي وإرادة الشفاء، وترك الشراب وإرادة الري، وترك الطعام وإرادة الشبع.

فكل هذه الأشياء أسباب لمسبباتها مَنْ ترك هذه الأسباب استحمقه الناس وقالوا: إنه مجنون، فهذا محو للأسباب أن تكون أسبابًا.

وقيل: (الإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع).

ففي ما سبق بيان كبير، وأما ضابط الأخذ بالسبب في ذلك، فهو في كل شيء بحسبه، فالاحتياط للمرض الخفيف. مثلاً: ليس كالاحتياط للمرض الشديد، والاحتياط في المحافظة على الشيء الغالي القيمة، الثمين، ليس كالاحتياط في المحافظة على الشيء الزهيد القيمة، وهكذا.

والأخذ بالسبب في طلب الرزق، يختلف عن السبب لدفع المرض، والأخذ بالسبب للطعام والشراب، ليس هو كالأخذ بالسبب في حصول الولد، وصلاحه وتربيته، وهكذا فسبب كل شيء، هو بحسبه، ثم الضابط في تمييز حال المفرط المضيع، من

حال الكيِّس الحريص، يختلف من أمر لأمر، ومن حال لحال، ومثل ذلك يعرفه الناس من أنفسهم، ومن معتاد أحوالهم.

الأخذ بالأسباب والمعجزات والكرامات:

ففي بداية أمر الأنبياء والمرسلين والصالحين، فإن أمرهم بالدعوة إلى الله، وبما أوحي إليهم، أو كما جاء في منهاج ارتضاه تعالى لهم، ويجعل لمن يشاء منهم معجزات أو كرامات، وحسب الحاجة، وهذا كله مقدر من قبله تعالى، ولا تصرف للبشر ولا للملائكة فيها البتة.

ولكن السؤال المهم: هل وقفوا في دعوتهم على هذه المعجزات أو الكرامات؟!

الجواب: وباختصار، لا وألف لا، فكانوا يأخذون بالأسباب، ويتركون ما خفا على الله فهو وحده يعلم ما يصلح ومتى يصلح..

ويروى عن الإمام الشافعي قوله: إذا رأيت رجلاً يطير في السماء، أو يمشي على البحر، فلا تحكم عليه حتى تراجع دينه، فإن كان من أهل الصلاح فتلك كرامة له، وإذا كان على غير الصلاح فإنه ساحر.. أو كما قال.

وفي زمن المعجزات وتأييد ربنا للأنبياء والصالحين بأحداث خارقة لكي يعنهم على أداء رسالتهم، لكن حين نأتي تجاه طلب الأرزاق أو نحو هذا من المواضيع فإنه تعالى يطلب منهم يعملوا ما عليهم ويأخذوا بالأسباب.

قصة الأخذ بالأسباب، والدرس منها:

يحكــى أن: رجلاً متعبداً في قرية كان قدوة للجميع لمستوى تدينه الرائع، وكان كل أهل القرية يسألونه في أمور دينهم، ويتخذونه نموذجاً يحتذى في الإيمان بالله، وفي ذات يوم حل طوفان بالقرية أغرقها بالماء، ولم يستطع أحد النجاة إلا من كان معه قارب، فمر بعض أهل القرية على بيت المتعبد لينقذوه، فقال لهم: (لا داعي، الله سينقذني، اذهبوا). ثم مر أناس آخرين، وقال لهم نفس الكلام..

ثم مرت به آخر أسرة في القرية، وقالوا له: اركب معنا نحن آخر من في القرية فإن لم ترحل معنا ستغرق. فأجاب: (لا داعي، الله سينقذني ... اذهبوا! ..).

انتهى الطوفان وتجمع أهل القرية فوجدوا جثة المتعبد. فثار الجدل بين الناس: أين الله؟!! لماذا لم ينقذ عبده؟!!.. قرر البعض الارتداد عن الدين!..

حتى جاء شاب متعلم وقال: من قال لكم أن الله لم ينقذه؟، إن الله أنقذه ثلاث مرات عندما أرسل له ثلاث عائلات لمساعدته. لكنه لم يرد أن ينجو!! ...

والدرس منها: أن الله يساعدنا بطرق هي من خلقه وتدبيره، ولا يساعدنا بطرق خرافية ووهمية. وأنه تعالى يجعل لكل شيء سبباً.

فأنظر أخي المسلم إن لم يجد في القرية متعلم، كيف كان سيكون حال الناس؟ كيف سيرتد نفر، وسيكون شك في آخرين، وسيلبس عليهم الدين، وما ذلك إلا لجهل الناس.

وعدم الأخذ بالأسباب هو سبب كل ضائقة في حياة الإنسان، فإنه يؤمن على جهل فينتظر التمكين ولا يأتيه، فيدخل في الضيق، والشك في الدين.

وقد روي عن المسيح عيسى عليه السلام، أن إبليس جاءه يوماً – وهو على جبل – وقال له: أتؤمن بالله؟ قال عيسى: نعم، قال: أتؤمن أنه لا يميت إلا هو ولا يحيي إلا هو؟ قال عيسى: نعم، قال الخبيث: إذن ارمِ بنفسك من على هذا الجبل، فأجابه عيسى قال: يا عدو الله، إن لله أن يختبر العبد، وليس للعبد أن يختبر الله تعالى.

إذن فالله وحده يضع الاختبارات والنواميس في الأرض، فكما يضع أن النار تحرق أو أن السكين تقطع، فلا يجوز للبشر أن يتعرضوا لها بحجة أنه المحيي المميت..

إذا أراد الله شيئاً هيأ له الأسباب:

فإن الله تعالى إذا أراد أن يبعث نبياً أو يحقق أمراً مفعولاً فإنه يهيئ له أسبابه.

والقصص والشواهد في هذا كثيرة.

فإنه لما قضى إرسال الرسول محمد ﷺ، جعل العلامات عند أهل الكتاب، وقدر ألا يحرفوها أو يخفوها من كتبهم، كما هي عادتهم، وجعل ذكره ﷺ يظهر على ألسنة الناس، وقد قدر وهيأ له البيئة المناسبة، وحسب علامات خروجه.

وفي سؤال بسيط وجواب أبسط بين عامي وأحد العلماء:

العامي: أريد أن أعرف معنى الأخذ بالأسباب باختصار:

العالم: الأخذ بالأسباب مثل أن:

تفتح الصنبور لتملأ الاناء ماء، وترفع الإناء لتشرب الماء، وتشرب الماء لتروى ويذهب عنك العطش.

وتعمل لتنال الأجر، وتذهب للسوق لشراء الخضر، وتطبخ لينضج الطعام، وتأكل لتشبع.

وتتزوج لتنال الولد.

وتنام لترتاح.

وتؤمن وتصلي وتزكي وتلتزم بما فرض الله عليك لتدخل الجنة.

وتعد وتصبر لتنتصر.

فدخول الجنة له أسباب، وكذا دخول النار...

العالم: فمن ترك الأسباب قدح في عقله ودينه، ألم يقل تعالى: { وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى }[٤].

العالم: والأخذ بالأسباب هو السعي للحصول على ما تريد وتجنب ما تكره.

وخلاصة ما سبق في ثلاث قواعد:

التفات القلب إلى الأسباب قدح في التوحيد.

ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا قدحًا في العقل.

والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع.

وذهب جمهور العلماء: على أن صحيح التوكل، إنما يكون مع الأخذ بالأسباب، وبدونه تكون دعوى التوكل جهلاً بالشرع وفساداً في العقل.

وأما نتائج الأخذ بالأسباب: بعد أن يأخذ العبد منا بكل الأسباب، وبعد أن يستفرغ كل طاقته ووسعه، حينها وليس قبلها بلحظة ينتظر تأييد الله تعالى له مهما كان جهده ضعيفاً، ومهما كانت إمكانياته بسيطة، فقدرة الله تعالى لا تضاهيها قدرة ولا يغلبها غالب.

---

٤ النجم: ٣٩.

الفصل الثاني: الأخذ بالأسباب في القرآن الكريم:

وفي القرآن الكريم الكثير من الأدلة على وجوب الأخذ بالأسباب، أكتفي بإيراد بعضها:

قال تعالى: { وَقُل اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمنُونَ }[5].

وفي هذه الآية فإنه تعالى يأمر المؤمنين بالعمل.

وقال تعالى: { هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا في مَنَاكبهَا وَكُلُوا من رّزْقه وَإلَيْه النُّشُورُ }[6].

وفي هذه الآية فإنه تعالى يأمر المؤمنين بالسعي في الأرض طلباً للرزق.

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[7].

وهذه مثل الأولى، فإنه تعالى أمر المسلمين بأداء الصلاة ثم السعي للرزق.

وقال تعالى: { قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }[8].

وفي هذه الآية فإنه تعالى يأمر المؤمنين بالدخول على القوم الكافرين، أي على الجهاد، ووعدهم بالغلبة على القوم.

قال تعالى: { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ }[9].

فإن الله تعالى أمر بالإعداد وفي كل نواحي القوة، وهو بعد الأمر بالإعداد يضمن لمن ينفق للإعداد بالأجر العظيم.

---

٥ التوبة: ١٠٥.

٦ الملك: ١٥.

٧ الجمعة: ٩، ١٠.

٨ المائدة: ٢٣.

٩ الأنفال: ٦٠.

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً }[10].

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }[11].

وهنا يأمر الله تعالى النفير في سبيله، وأن ينصروا دينه في كل نواحي حياتهم، حتى يستحقوا النصر.

وقال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم }[12].

وهنا فإن الله تعالى يأمر المؤمنين بأخذ الحذر من الكفار، أليس وعدهم النصر؟!، بلى، ولكن هذا بيان عظيم في وجوب أخذ السبب.

قال تعالى: { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً }[13].

فتقوى الله هنا هي درباً من دروب الأخذ بأسباب الرزق – الذي هو الخير كله – والبركة وتفريج الكروب والهموم ودفع كل الشرور.

وغيرها كثير...

<u>وفي قصص الأنبياء والمرسلين:</u>

فقد أمر الله أبونا بالتوبة والاستغفار، ثم تاب عليه.

قال تعالى: { فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[14].

وها هو نوح عليه السلام أمره ربه تبارك وتعالى بإعداد سفينة لحمل الأحياء من كل زوجين اثنين ومن آمن من البشر ولو شاء الله أن ينجيه لنجاه ولكن الله تعالى أمره بالأخذ بالأسباب.

قال تعالى: { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ }[15]، وقال: { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ }[16].

---

١٠ النساء: ٧١.

١١ محمد: ٧.

١٢ النساء:٧١.

١٣ الطلاق: ٢ ، ٣.

١٤ البقرة : ٣٧.

١٥ هود : ٣٧.

وها هو موسى عليه السلام أمره ربه تبارك وتعالى: أن يضرب البحر بعصاه، وهل تشق العصى البحر؟! ولكنها الأسباب، فإذا بالبحر فرقتين كل فرق كالطود العظيم ولو شاء الله أن يجعله كذلك من غير ضرب بالعصا لفعل ولكنه يُعلِّم أنبياءه وعباده الصالحين الأخذ بالأسباب، وكذا ضربه الحجر بالعصا لينفجر منه اثنتا عشرة عينا كل هذا لتأخذ الأسباب نصيبها من حياة الإنسان.

قال تعالى: { فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ }[١٧].

وها هو كذلك، أمره الله أن يضرب الحجر بالعصا حتى يسقيهم، فهل في الحجر من ماء؟!، وهل العصا لها قدرة كسر الحجر؟!.

قال تعالى: { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ }[١٨].

وها هي مريم عليها السلام أمرها ربها تبارك وتعالى - وهي في المخاض- أن تهز النخلة لتسقط عليها رطبًا جنيًا، ومعلوم أن المرأة أضعف ما تكون قوة في هذه الحال، ومع هذا أيضًا لو هز النخلة عشرة رجال من جذعها لما تساقطت ثمرة واحدة ولكنها الأسباب.

قال تعالى: { وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا }[١٩].

وها هو الله تعالى يأمر رسوله ﷺ بأخذ الشورى من أصحابه وهو الذي يوحى إليه، فقال تعالى: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ }[٢٠].

قال الرازي في تفسير لهذه الآية: (دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه كما يقول بعض الجهال، وإلا كان الأمر بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل، بل

---

١٦ هود: ٤٠.

١٧ الشعراء: ٦٣.

١٨ البقرة: ٦٠.

١٩ مريم: ٢٥.

٢٠ آل عمران: ١٥٩.

التوكل على الله أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على الله تعالى).

ولو بقيت أسرد الأدلة من القرآن الكريم، سواء من أوامره، أو من سننه، أو من قصص الأنبياء والرسل والصالحين لطال بي الكلام كثيراً، وكما يقال: اللبيب تكفيه الإشارة، أو قولهم: واللبيب بالإشارة يفهمُ.

فأكتفي بما سبق...

الفصل الثالث: الأخذ بالأسباب في السنة النبوية:

أنظر أخي المسلم كيف هيأ الله تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ كان مولوداً، وفي صفحات تاريخه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء في السيرة النبوية:

- ذهابه إلى بني سعد ليرضع هناك، فيتعلم من البادية، فصاحة اللسان العربي، ويأخذ قوة البادية، وشدة عيشها..

- وبعد رجوع حليمة به، انتشر في مكة وباء خطير، فاستطاعة حليمة السعدية أن ترجع به ليمكث عندها أكثر مدة ممكنة، ويتواصل تعلمه من البادية ما سبق، وغيرها..

- تعرض الراهب (بحيرا) لأبي طالب، وأمره أن يرجع به إلى مكة، لأن يهوداً لو علموا به لطلبوا قتله، فإن يقين الراهب كان الدافع في تحذير عمه، ولماذا لم يعمل بأنه ومهما فعل يهود أو غيرهم فلن يقدروا عليه؟!..

- عمله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرعي، قيل: ليتعلم حسن التصرف، ورعاية البشر، وكما روي عنه: أن الله لم يبعث نبي في قومه إلا رعى الأغنام...، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال : أصحابه وأنت؟، فقال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)[٢١]، قال ابن حجر في الفتح: (قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعى الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم).

---

٢١ رواه البخاري.

- ثم عمله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التجارة، ليتنقل بين الناس، ويعرف أكثر عنهم، وعن بلدانهم...

- مشاركته لقومه حرباً كانت في الجاهلية تسمى حرب (الفجار)، وكان لا يزال صغيراً، أليس في هذا تربيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحروب ووقعها؟..

وفي قصص السيرة منذ البعثة:

- وبغض النظر عن الاختلاف، هل كان للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوة سرية، أم لا. فإن المتفق عليه: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان دعوة بين الخاصة والعامة، وأنه لم يتصدر للعامة، وهي الدعوة الجهرية لعموم الناس، إلا بعد أمرين: الأول: أمر الله تعالى له، الآخر: تكوين خاصة يؤمنون به، ويصدقونه، ويدفعون عنه، وتأسيس دار الأرقم، الذي يجلس مع أصحابه يعلمهم الدين، ويدعوا الخاصة منه...

- تسخير الله له عمه أبا طالب، وزوجته خديجة، يحميانه، ويدفعان عنه، ويواسيانه.

- وبعد رجوعه من الطائف ومنع قريش له بالدخول إلى قريته، بَعَثَ إِلَى الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ لِيُجِيرَهُ، فَقَالَ: أَنَا حَلِيفٌ، وَالْحَلِيفُ لَا يُجِيرُ. فَبَعَثَ إِلَى سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، فَقَالَ: إِنَّ بَنِي عَامِرٍ لَا تُجِيرُ عَلَى بَنِي كَعْبٍ. فَبَعَثَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، ثُمَّ تَسَلَّحَ الْمُطْعِمُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْا الْمَسْجِدَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ اُدْخُلْ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى عِنْدَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

- وكيف فعل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد كثرة تكذيب قريش، حيث عرض نفسه على القبائل، وهنا مرحلة أخرى، يطلب فيها حاضنة له ولأصحابه، كي ينتقلوا في الدعوة إلى المرحلة المتقدمة هذه، جاء في السيرة: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ؟، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ فَقَالَ مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ الرَّجُلُ مِنْ هَمْدَانَ. قَالَ فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟، قَالَ نَعَمْ!، ثم إن الرجل

خشي أن يخفره[٢٢] قَوْمُهُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: آتِيهِمْ فَأُخْبِرُهُمْ ثُمَّ آتِيكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ! قَالَ نَعَمْ! فَانْطَلَقَ وَجَاءَ وَفْدُ الْأَنْصَارِ فِي رَجَبٍ).

فلماذا يبحث الرسول ﷺ عن منعة في قوم؟ أليس يعلم أنه سيُقاتل!!!، وغيرها..

وفي أحداث السيرة النبوية كثيراً مما يدل على الأخذ بالأسباب.

وإلا فإن الله تعالى قادر على نصرته ونصرة دينه، دونما تعب أو نصب أو بلاء.

لماذا لم يكتفي الرسول ﷺ بالدعاء فقط..، بل سعى بعد كل سبب متاح لبناء الدولة الإسلامية.

<u>الهجرة والأخذ بالأسباب:</u>

– فقد أمر أصحابه أن يهاجروا سراً، كما كانت هجرته كذلك، إلا عن نفر قليل.

– وقد أبقى أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب، حتى يكون الأول رفيقاً في السفر، ويكون الآخر لعمل أمرين: الأول: النوم على فراش الرسول ﷺ[٢٣]، الآخر: إرجاع أمانات كانت لبعض أهل مكة عنده.

– وقد خرج جنوباً أول خروجه، ومن جانب لبيت أبي بكر، وكان ذلك ليلاً.

– دَخَولَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغار (غار ثور)، يلَمَسَه، لِيَنْظُرَ أَفِيهِ سَبُعٌ أَوْ حَيَّةٌ، يَقِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ.

– جعل أسماء بنت أبي بكر تأتيهم بالطعام والشراب إذا أمست إلى غار ثور.

– جعل عبدالله بن أبي بكر يأتيهم بالأخبار ليلاً.

– وَجعل عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ مَوْلَاهُ أَنْ يَرْعَى غَنَمَهُ نَهَارَهُ، ثُمَّ يُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا، يَأْتِيهِمَا إِذَا أَمْسَى فِي الْغَارِ ليحْتَلَبَا وَيذَبَحَا منها.

– مكوث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر ثلاثة أيام في الغار.

– تعرض أسماء للأذى من قبل أبي جهل؛ فقد سألها أين أبوها، فلم تجبهم، فلطمها لطمة قوية في خدها حتى طرح منها قرطها[٢٤]..

– اتخاذ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ دليلاً لهم، لأمانته، وخبرته للطريق..

---

٢٢ يخفره: أي يرفضوا جواره للرسول ﷺ، فيكون ناقضاً للعهد دونما حيلة أو قصد منه.

٢٣ وفي هذا خلاف بين أهل العلم، لكن موضعه ليس هنا..

٢٤ ما يعلق في شحمة الأذن، وهو الخرص.

هذا كله لماذا؟!، ألا كان يأتيه جبريل بالبراق كما رحلة الإسراء والمعراج؟!، أليس في هذا بيان ودليل على وجوب الأخذ بالأسباب، وغير ذلك من الفوائد..

ومن هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

– يحثنا الرسول ﷺ على التداوي؟، ألا يعرف أن الله هو وحده الشافي لا الدواء؟!.

– ثبت عنه ﷺ أنه قال: (احرص على ما ينفعك واستعن ولا تعجز)[٢٥].

– تجهزه للمعارك بما يستطيع، وكسبه للمال، جاء في شرح العقيدة الطحاوية: (قد يظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب، وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مُقدرة فلا حاجة إلى الأسباب، وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مُستحب، ومنه مُباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين يلبس لأمة الحرب[٢٦]، ويمشي في الأسواق للاكتساب).

– أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وأراد أن يترك ناقته وقال: (أأعقلها وأتوكل؟ أو أطلقها وأتوكل؟ فقال ﷺ: اعقلها، وتوكل)[٢٧].

– كان النبي ﷺ يحث الصحابة على العمل والسعي في الأرض، ويدعو لهم بذلك، فإن لم يجدوا فإنه كان يحثهم على الدعاء والاستعاذة من العجز والكسل. قال صلى الله عليه وسلم: (لأن يأخذ أحدكم حبله[٢٨] فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه، أو منعوه)[٢٩].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (دخل رسول الله ﷺ، ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال يا أبا أمامة: ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة؟، قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من

---

٢٥ رواه مسلم.

٢٦ لأمة الحرب: اللأْمَةُ: أَداةُ الحرب كلُّها من رمحٍ، وقوس، وسيفٍ، ودرع، ونحو ذلك..

٢٧ رواه ابن حبان.

٢٨ وجاء لفظ أحبله، وهي جمع حبل.

٢٩ أخرجه ابن ماجه، والبزار، والنسائي.

الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال، قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عز وجل همي وقضى عني ديني)[٣٠].

وقال ابن حجر في الفتح: (المراد بالتوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها . وليس المراد به ترك التسبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين، لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه من التوكل، وقد سئل أحمد عن رجل جلس في بيته، أو في المسجد وقال: لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي، فقال: هذا رجل جهل العلم، فقد قال النبي ﷺ: إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي، وقال: لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً. فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق، قال: وكان الصحابة يتجرون ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم).

وسُئِل الإمام أحمد رحمه الله عن رجل جلس في بيته، أو في المسجد وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي، فقال: هذا رجل جهل العلم، فقد قال النبي ﷺ: (إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي، وقال: لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصاً وتروح بِطاناً، فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق، قال: وكان الصحابة يتجرون ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم).

- وعندما شعر النبي ﷺ بمكر يهود، وتأليب قريش لهم ليحاربوا المسلمين، ونيتهم بنقض ما كان بينهم وبين المسلمين من عهد، أخذ النبي ﷺ بالأسباب فنبذ إليهم عهدهم، وحاصر قبائل اليهود قبيلة بعد قبيلة وهزمهم وأجلاهم عن المدينة فخرجوا متفرقين إلى بلاد الشام وغيرها.

وهنا كذلك يوجد الكثير والكثير من الأدلة على وجوب الأخذ بالأسباب، وما سبق إلا مثالاً بسيطاً منها...

---

٣٠ رواه أبو داود.

الفصل الرابع: الأخذ بالأسباب عند الصحابة والسلف الصالح:

قال الفاروق عمر رضي الله عنه: (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة).

وقال ابن القيم رحمه الله: (فلا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، وإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد من هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان مُعطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً).

وكان ابن القيم يسمي الأخذ بالأسباب (رعاية الأسباب)، وهذا يوحي بأن السلف الصالح كانوا يهتمون بأمر الأخذ بالأسباب..

وقد مر الحسن البصري رحمه الله، على رجل يلعب بالحصى بيده ويدعو الله أن يرزقه الحور العين، فقال له: (يا هذا تدعو الله الحور العين وتلعب كما تلعب المجانين؟).

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وأهل السنة لا ينكرون وجود ما خلقه الله من الأسباب ولا يجعلونها مستقله بالآثار، بل يعلمون أنه ما من سبب مخلوق إلا وحكمه متوقف على سبب آخر، وله موانع تمنع حكمه، كما أن الشمس سبب في الشعاع، وذلك موقوف على حصول الجسم القابل به، وله مانع كالسحاب والسقف، والله خالق الأسباب كلها، ودافع الموانع).

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ذهب عامة الفقهاء ومحققو الصوفية إلى أن التوكل على الله لا يتنافى مع السعي والأخذ بالأسباب من مطعم ومشرب وتحرز من الأعداء وإعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سنة الله المعتادة مع الاعتقاد أن الأسباب وحدها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، بل السبب، العلاج، والمسبب، الشفاء).

وقال سهل: (من قال: التوكل يكون بترك العمل فقد طعن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وفي الأخير: فإن علماء الإسلام قد اجمعوا على وجوب الأخذ بالأسباب، وفي كل أمرٍ، مهما كان.

ولكن تحت ضوابط الشرعية، والعرف المباح.

الفصل الخامس: الإعـداد للمهدي عليه السلام:

ولي في هذا الفصل عدة عناوين، حتى تكتمل الصورة، وأحاول الجواب على السائل، أو المنكر لأمر الإعداد للمهدي عليه السلام.

إشكالات لمنكري الإعـداد للمهدي:

وردت عدة إشكالات لمن ينكر الإعداد للمهدي عليه السلام، منها ما قيل على لسان علماء أو كما يعرفون عند الناس، وهنا فالأسف الشديد، حيث فتوى العالِم – بكسر اللام – تُضِل العالَم – بفتح اللام –، ومنها ما جاء على ألسن العامة، أو ما جاء تحت الاعتبارات السياسية.

أورد هنا ما استطعت الوقوف عليه:

أن الله يصلحه في ليلة:

ورد هذا اللفظ بأحاديث وآثار صحيحة، ففي الحديث: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ)[٣١].

وهنا لم يحدد ما المقصود بهذه الليلة.

فكيف يدعي بعض العلماء القول بأنها ليلة البيعة، ويجرون على هذا إنكار الإعداد له عليه السلام؟؟!!..

ولو تتبعنا كل الأقوال التي قيلت في حل هذا الإشكال لما وجدنا قولهم إلا جزءاً من كل، وسأورد هنا ما استطعت الوقوف عليه، ومهما كان الرأي فقد أحببت أن إيراده وذلك من باب الإلمام والإحاطة، وقد اختصرتها كثيراً، خوفاً من الإطالة.

١- قيل: (أن الله يصلحه في ليلة محددة من كل أسبوع، مثلاً ليلة السبت أو الأحد أو نحو هذا، كما حصل للرسول ﷺ، فنجد أن الله أصلحه في ليلة: أنه ولد يوم الاثنين. وقال ابن عباس: (ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين)[٣٢].

---

٣١ أخرجه ابن ماجه في سننه، وأحمد بن حنبل في مسنده، وابن أبي شيبه في مصنفه، ونعيم بن حماد في فتنه، والبخاري في التاريخ الكبير، أبو يعلى في مسنده، والعقيلي في الضعفاء، وابن عدي في الكامل، وأبو نعيم في الحلية وفي أخبار أصبهان، أبو عمرو الداني في سننه.

٣٢ أخرجه أحمد.

وأوحي إليه يوم الاثنين. وهاجر يوم الاثنين من مكة. ووصل يوم الاثنين إلى المدينة. وتحولت القبلة يوم الاثنين. وخرج إلى معركة بدر يوم الاثنين. وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين. فإذا عرفنا أن الإمام المهدي يبايع له ليلة السبت يوم الأحد. كما في الأثر: (يظهر المهدي في يوم عاشوراء عند العشاء وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي، عليهما السلام، وكأني به يوم السبت العاشر من المحرم)[٣٣]. فهل نستطيع أن نقول: (إن الله يصلحه في ليلة ويوم الأحد). فيولد يوم الأحد. ويحفظ القرآن يوم الأحد. ويتزوج يوم الأحد. ويهاجر يوم الأحد. ويبايع ليلة الأحد. ويفتح الله عليه يوم الأحد وهكذا... وهذا القول أقرب الأقوال إلى الصحة.

٢- وقيل: (أنه يصلحه الله في ليلة بمعنى يخلفه ويمكنه الله في ليلة).

٣- وقيل: (بلا شك يصلح الإمامة والخلافة والمنزلة العظيمة والمكانة الرفيعة التي يخصها الله تعالى له).

٤- وقيل: (يصلحه للخلافة، للحكم، ويصلحها له، حيث لم يكن من أهلها).

٥- وقيل: (يهيئه الله في ليلة، لقيادة الأمة لخوض الملاحم، فإنه يعاصر ويقود أعظم معركة في التاريخ البشري، ألا وهي الملحمة الكبرى، وكذلك أعظم فتنة في التاريخ، ألا وهي فتنة المسيح الدجال).

٦- وقيل: (وفي لفظ (يصلح) فيها إشارة لطيفة. وتصريف الكلمة واضح ومنها الإصلاح والصلاح. فيكون صالحاً، ومصلحاً، وصلاحاً، للأمة ينجيها الله به من الفتن. فالمهدي يتفضل الله عليه بتعليمه وإرشاده وتوفيقه. قال ابن كثير في تفسيره: (يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ، أَيْ: يُصْلِحُ أَمْرَهُ وَيَرْفَعُ قَدْرَهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، حَيْثُ يَتَّفِقُ عَلَى خِلَافَتِهِ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ فِيهَا).

٧- وقال ابن كثير: (أي: يتوب عليه، ويلهمه ويرشده، بعد أن لم يكن كذلك). وقيل: (فمعناه واضح، وهو أن المهدي يتفضل الله عليه بتعليمه وإرشاده وتوفيقه ويتوب عليه في ليلة). وقيل: (يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ، أَيْ: يتوب عليه

٣٣ عقد الدرر للمقدسي.

في ليلة من صغائر الذنوب، وهو أن يكون مُتلّبساً ببعض النقائص (الصغائر) فيتوب الله عليه ويوفقه ويلهمه رشده بعد أن لم يكن كذلك).

٨- وقيل: (أنه يكون رجل ضال ويهديه الله ويصلحه في ليلة)، وهذا لا يصح لأن هذا يناقض آثاراً تحكي حسن وسلامة دينه، ومنها: عن ابن عباس قال: (إني لأرجو ألا تذهب الأيام والليالي، حتى يبعث الله منا أهل البيت غلاماً شاباً حدثاً لم تلبسه الفتن، ولم يلبسها، يقيم أمر هذه الأمة، كما فتح الله هذا الأمر بنا فأرجو أن يختمه الله بنا)[٣٤]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (لاَ تَمْضِي الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَلِيَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ فَتًى لَمْ تَلْبِسْهُ الْفِتَنُ وَلَمْ يَلْبِسْهَا. قَالَ: قُلْنَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَعْجَزُ عَنْهَا مَشْيَخَتُكُمْ وَيَنَالُهَا شَبَابُكُمْ ؟ قَالَ: هُوَ أَمْرُ اللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ)[٣٥]، وعن ابن حمير، أنه قال: (يفتح القسطنطينية أمير كريم ذو دين، ليس بغال، ولا سارق، ولا غاش، ولا تخليط)[٣٦]، هذه أدلة نقلية، أما العقلية فكثيرة منها: أنه كيف يقيم الله الدين لرجل غير صالح؟!..

٩- ومما ينقل عن العلامة الألباني، أنه قال: (وإن المهدي يفترض أن يكون عالماً بالحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، والمعرفية، حتى يكون أهلاً ليقود الأمة، وأما إصلاحه في ليلة هو انعقاد البيعة له في ليلة)، وهذا من الأخذ بالأسباب، فلا يمكن أن يكون المهدي وهو جاهل بأكثر هذه الأمور والأحوال..

١٠- وقيل: (أن الله يصلحه في ليلهِ أي في خلواته، وأخصها يكون في الليل).

١١- وقيل: (أن الله لما خص الليل دون النهار، ولانقطاع الوحي، فإن الله يخصه بالرؤى والأحلام المؤيدة له).

---

٣٤ السنن الواردة في الفتن للداني.

٣٥ مصنف ابن أبي شيبة.

٣٦ عقد الدرر للمقدسي.

١٢- وقيل: (ومن ابتلاءات الإمام المهدي المنتظر: ومن أنه مصاب بأنواع عديدة من الابتلاءات كالمرض والسحر والفقر وغيرها..، فيعافيه الله منها في ليلة).

١٣- وقيل: (يحصل له إصلاحاً في نفسه، كل يوم في اليلة).

١٤- وقيل: (لا يكون الإصلاح إلا والمهدي عنده ٤٠ سنة، كما ورد في الأحاديث والآثار، وعليه فإن أول ليلة عند الـ ٤٠ هي الليلة).

١٥- وقيل: (الإصلاح بمعنى العصمة، أو قريباً منها، ومنها: سداد القول والفعل، فيمنحه الله العصمة في تلك الليلة).

١٦- وقيل: (ويخرجه من الحيرة والغيبة إلى نور الفرج والظهور)، من كلام الشيعة.

١٧- وقيل: (يصلح الله له الكرامات التي يثبت من خلالها أنه المهدي، كما جاء أنه: يومأ إلى الطير فيقع على كتفه، ويغرس العصا فتنبت في حينها، وغيرها[٣٧]).

١٨- وقيل: (أنها ليلة الخسف، لأنها أصدق وأوضح علامة على صدقه).

١٩- وقيل: (أنه يكون غير راض بقبول البيعة، فيشرح الله صدره لقبولها).

٢٠- وقيل: (أنه لن يجاهد النفس في الصلاح الديني، إذ سيصلح الله له دينه في ليلة، وتلك الليلة ستكون أول حياته، أو تكليفه).

٢١- وقيل: (هي إحدى الليالي المباركة، وهي: ليلة الاسراء والمعراج، أو ليلة النصف من شعبان، أو ليلة القدر، أو ليلة النحر (عيد الاضحى)، أو ليله عاشوراء).

٢٢- وقيل: (يصلح الله له أنصاره في ليلة، وبهم يفتح الأرض، ويستقيم له الأمر)، وقيل: (والمراد من إصلاحه أو إصلاح أمره توفير النصر لديه، أو إيجاد المقدمات الواضحة للنصر. قالوا في اللغة: صلح ضد فسد، أو زال عنه الفساد، يقال: صلحت حال فلان، وأصلحه بعد فساد أقامه). فالمهدي

---

٣٧ وردت هذه في عقد الدرر للمقدسي.

بعد أن كان في حال بسيط، وكان أعزلاً عن السلاح بعيداً عن الحكم، يصبح بين عشية وضحاها، في ليلة واحدة، قائداً. وأول وأهم خطوة لهذا النصر هم اجتماع أصحابه الخاصين حوله ومبايعتهم له ، وهو يحدث في ليلة واحدة هو نفس المساء الذي يخطب فيه بين الركن والمقام . وهذا صحيح على كلا الأطروحتين: الإعجازية والطبيعية لاجتماعهم ... فإنهم يجتمعون في تلك اللحظة حوله على أي حال. إذن: فاجتماع أصحابه هو الشيء الرئيسي المشار إليه في هذا الحديث الشريف، بصفته أول مراحل تصاعد الانتصار التدريجي السريع بما فيه اجتماع من (١٢٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠) رجل في ليلة واحدة وهو في الطائف. ولأنه ذكر: أنه يكون لصاحب هذا الأمر غيبة، ثم يذكر حوادث الظهور واجتماع أصحابه ومبايعتهم له، ولا ينتهي الكلام إلا وقد ذكر الخسف...).

٢٣- وقيل: (الاصلاح هو عمليات جراحية وتغير في تركيب الأعضاء الداخلية للجسد المادي، وعمليات على النفس، والأطباء هم من الملائكة، وأهم العلميات تلك هي في القلب، وكأنها تغير كلي لعضو القلب، كما شق عن قلب الرسول ﷺ).

٢٤- وقيل: (ليلة الإصلاح ستكون صعبة جداً على المهدي، وهي هنا أنه يتحمل من بعدها مسؤولية الأمة، وكأنها تكون قريبة من ليلة ظهور جبريل الأمين للرسول ﷺ، وكيف كان وقعها على سيد الأولين والأخرين..). وقيل: (أنه ربما نزل إليه ملكاً من قبل الله تعالى، فثبته وأرشده، في تلك الليلة).

٢٥- وقيل: (الإصلاح هو تزويجه إن كان أعزباً، ورد امرأته إن كان مفارقاً لها، لأن في الزواج إصلاحا للرجل).

٢٦- وقيل: (أن الإصلاح يكون إصلاحاً ربانياً في تلك الليلة، ولا يُعلم ماهيته إلا الله تعالى).

٢٧- وقيل: (أن الإصلاح يكون باعطائه فهم نوراني رباني للقرآن يفوق ما عند البشر).

٢٨- وقيل: (وإن لدية الكثير من العلامات والأرقام ناهيك عن الرؤى والأحلام التي تبين له بشكل غير مباشر أنه هو من يبحث عنه، وتكون في ليلة محددة).

٢٩- وقيل: (يعفيه الله من أنواع الابتلاءات كما عفا الله عن نبيه يوسف، حيث أخرجه من السجن، ثم مكن له في الأرض)، وهذا كلام علماء شيعة، وهم يستندون إلى أثر ورد في البحار، هو: عن ضريس الكناسي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إن صاحب هذا الامر فيه سنة من يوسف ابن أمة سوداء[٣٨] يصلح الله أمره في ليلة واحدة)، وقيل: (أن الله يعفيه من جملة ابتلاءات كان مثلها في أنبيائه، فمن محمد: الحروب، ومن عيسى التكذيب، ونشر الإشاعات ضده، ومن موسى: الهروب، ومن يوسف: السجن)، وهذا من كلام الشيعة، لأثر عندهم في البحار وغيره يقول: (عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: في صاحب هذا الامر أربع سنن من أربعة أنبياء، سنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من يوسف، وسنة من محمد صلوات الله عليهم أجمعين، فأما من موسى فخائف يترقب، وأما من يوسف فالسجن، وأما من عيسى فيقال له: إنه مات ولم يمت، وأما من محمد صلى الله عليه فالسيف). وفي أثر أخر في البحار: عن أبى بصير قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: (في صاحب هذا الامر سنن من أربعة أنبياء سنة من موسى وسنة من عيسى وسنة من يوسف وسنة من محمد صلوات الله عليهم أجمعين، فقلت: ما سنة موسى؟ قال: خائف يترقب قلت: وما سنة عيسى؟ فقال: يقال فيه ما قيل في عيسى، قلت: فما سنة يوسف؟ قال: السجن والغيبة قلت: وما سنة محمد ﷺ؟ قال: إذا قام سار بسيرة رسول الله ﷺ إلا أنه يبين آثار محمد ويضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر هرجاً هرجا

٣٨ وفي هذا الأثر إشكال عند علماء الشيعة؛ فمنهم من يقول أنه محمد بن الحسن العسكري، وأمه نرجس الرومية، وهي بيضاء، ومنهم من قال: وعلى هذا الأثر فإنه يشك أنه محمد بن الحسن...، حتى قال المجلسي صاحب البحار: حديث واضح في معناه وضوح الشمس في رابعة النهار على إن أم صاحب الأمر التي ولدته هي امرأة سوداء..

حتى يرضى الله، قلت: فكيف يعلم رضا الله؟ قال: يلقى الله في قلبه الرحمة). وقيل: (الثلاث الابتلاءات التي تكون في المهدي: جبارة، ظالمة، معتدية. وفي حياته زوايا مثلث حاد الزوايا حيث تغييرات حادة في حياته)..، وقيل: (أن ابتلاءات المهدي الثلاث العظيمة ستكون بداية انطلاقته للتفكر والبحث عن نفسه لأن ثالوث الظلمة الذين ظلموه سيبدأ او بدأ بالإحاطة به على حين فجاءة ويُطبق عليه إطباقاً في النهاية بلا مخرج، ويكون مخرجه والعلم عند الله يوم إصلاحه الذي يتضمن تفريج همه وكربه والعلم عند الله)..، وقيل: (حياة المهدي كأنها زوايا المثلث هي منعطفات في حياته ولكنها منعطفات حادة كزوايا المثلث، ولذلك فهي تعني ابتلاءات قاسية، في أحدى الزوايا رحمته بالناس، وفي الثانية حزنه على ما يقع في المسلمين، والأخيرة غضبه على الكفار والمنافقين ونحوهم...)، وفي ليلةٍ ما يعافيه الله من كل ابتلاء ويكرمه بكل نصر وفعل للخير.

قال قيس بن الملوح الملقب بمجنون ليلى:

أَعُدُّ اللَّيالِي لَيْلَةً بَعْدَ ليـــــلةٍ ... وقَدْ عِشْتُ دَهْراً لا أَعُدُّ اللَّياليا

ألا أيها الركب اليماني عرجوا ... علينا فقد أمسى هواناً يمانيــاً

وخلاصة ما سبق:

أن من الأقوال السابقة ما تشابه فيما بعضها، ولكن أفضل الأقوال هو القول الأول، والقول القائل: بأن الله يصلح الحكم له ويصلحه للحكم، لأنه لم يكن من أهل الحكم. ولا إشارة على أن حديث الإصلاح يتنافى مع الإعداد له عليه السلام، فيسقط هذا القول بإنكار الإعداد للمهدي.

إذن: فإنكار الإعداد للمهدي جاء من فهم خاطئ للحديث.

ولكن هذا الرأي جاء على هوى كثير من الحكام اليوم، على غلبة الظن أنه زمن المهدي، لأنه سيأتي على عروشهم المتهالكة، لأن الله ابتلاء الأمة بأناس يريدون الحكم مهما كان الثمن، وكيفما كانت النتيجة..، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

أن الخلافة تأتيه إلى بيته:

وعن أبي الجلد قال: (تأتيه إمارته هنياً وهو في بيته)[٣٩].

وفي هذا الأثر الضعيف السند، الصحيح المتن، لوجود شواهد صحيحة تقويه، لم يرد فيه المنع على الإعداد، بل هو يحكي أمراً غيبياً سيكون حال بيعة المهدي، حيث يدخل عليه علماء وأناس أفاضل إلى بيته يكرهونه على البيعة.

إقامة خلافة راشدة قبل المهدي:

وهذا القول ورد في كتاب (لجواد بحر النتشة)، واسمه (المهدي مسبوق بدولة إسلامية)، وقد قدم له العالم (بسام جرار)، وورد في غير هذا.. كمقالات أو آراء لبعض العلماء، أبرزهم الألباني.

وهذا الإشكال حيث قال أصحابه: ما دام المهدي يخرج بعد خلافة راشدة فإن الخلافة هذه ستهيئ له وتدفع إليه الراية..

وما دليلهم إلا في ذكر أن المهدي يخرج بعد موت خليفة، فجاء: عن أم سلمة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام ..)[٤٠].

فيأخذون لفظ خليفة، ويقولون أن الخليفة لا يكون إلا في ظل خلافة.

والجواب: أنه رأي من الآراء فقط، لا أن يعمم على أنه الرأي الصواب، إلا ممن يبتغون الزيغ، لأن هذا الرأي منافٍ للصحة، لعدة أمور:

أولاً: أن الحديث جاء بهذا اللفظ بالمعنى، أي الملك أو الرئيس أو نحو هذا. فقد جاء حديث فيه أن رسول الله ﷺ قال: (... فإذا قتل الخليفة بالعراق خرج عليهم رجل مربوع القامة، كث اللحية، أسود الشعر، براق الثنايا، فويل لأهل العراق من أتباعه المراق، ثم يخرج المهدي منا أهل البيت، فيملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً)[٤١]،

---

٣٩ الفتن لنعيم بن حماد.

٤٠ سنن أبو دواد، مسند أحمد، صحيح ابن حبان، مسند أبي يعلى.

٤١ عقد الدرر للمقدسي.

وحيث هذا القتل للخليفة علامة على قرب زمن المهدي، فكيف يكون الخليفة في العراق فقط؟!!، إذن فلفظ الخليفة تدل على الحاكم..

ثانياً: أنه لم يرد في الحديث إشارة على الخلافة، بغير لفظ الخليفة.

ثالثاً: أن هذا القول لم يقل به أحد من العلماء الذين يعتد بقولهم.

رابعاً: بل وفي الحديث نفسه ما يدل على أنه زمن فتن، لأن المهدي يهرب من المدينة إلى مكة، على إثر اختلاف على الملك، ولم يقل الحديث يهرب المهدي، عند موت خليفة، بل قال يكون اختلاف عند موت الخليفة، الفرق كبير جدا، حيث أنها علامات على خروجه، حيث يموت الخليفة أو الملك، فيقتتل ثلاثة من بعد ذلك كل يطلب الملك لنفسه، وهذا الأمر جاء في حديث صحيح آخر وهو: عن ثوبان، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، لا يصير إلى واحد منهم، ثم تجيء الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونهم[٤٢] قتالاً لم يقتله قوم، ثم يجئ خليفة الله المهدي فإذا سمعتم به فأتوه فبايعوه؛ فإنه خليفة الله المهدي)[٤٣].

فكيف يستقيم فهم أن الخلافة تسلم إليه، وهم يقتتلون عليها؟؟!!..

خامساً: حيث وردت أحاديث وآثار صحيحة وحسنة وضعيفة ضعفاً غير قادح، على أن المهدي يأتي على زمن فتن وحروب واختلاف بين المسلمين، ومجاعات وتقطع للطريق والتجارات، وفي زمن امتلئت الأرض – يقصد أرض العرب – ظلماً وعدواناً، فالظلم: ظلم الحكام، وكل ظلم يعيشه الناس: عدم تطبيق شرع الله، عدم اعطاء أهل الحقوق حقوقهم، ....، وعدواناً دليل: التعدي على الآخر، فيكون الحروب، والفتن، وغيرها...

---

٤٢ وفي رواية: فيقاتلونكم، عند الحاكم وغيره.

٤٣ أخرجه ابن ماجه في سننه، والحاكم في مستدركه، وقال حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأبو عمرو الداني في سننه، البزار في مسنده، وقال الألباني في الشرح: الكنز كنز الكعبة.

والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً منها:

امتلأ الأرض – أرض العرب – ظلماً وعدواناً:

قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج من عترتي، أو من أهل بيتي، من يملأها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً)[٤٤].

وعَنْ عَلِيٍّ بن أبي طالب، قَالَ: (لَتُمْلَأَنَّ الْأَرْضُ ظُلْماً وَجَوْراً حَتَّى لَا يَقُولَ أَحَدٌ: اللَّهَ اللَّهَ يَسْتَعْلِقُ بِهِ، ثُمَّ لَتُمْلَأَنَّ بَعْدَ ذَلِكَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً)[٤٥].

وهذا الأمر لا خلاف ولا بيان فيه، فهو كالشمس في وضح النهار.

تتابع الفتن على الأمة حتى يخرج المهدي:

عن أبي الخلد، قال: (تكون فتنة بعدها الأخرى، فما الأولى في الآخرة إلا كمثل السوط تتبعه ذباب السيف، ثم تكون فتنة تستحل فيه المحارم كلها، ثم تجتمع الأمة على خيرها ثانية هنياً وهو قاعد في بيته)[٤٦]، وفي الأثر أن الفتن تتتابع حتى يخرج المهدي عليه السلام، وهذا سياق يفهم من النص.

وعن أبي سيعد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (ستكون بعدي فتن؛ منها فتن الأحلاس[٤٧]، يكون فيها هرب وحرب، ثم من بعدها فتن أشد منها، كلما قيل انقطعت تمادت، حتى لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ولا مسلم إلا وصلته، حتى يخرج رجل من عترتي)[٤٨].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: قال لنا رسول الله ﷺ: (أحذركم سبع فتن تكون بعدي: فتنة تقبل من المدينة، وفتنة بمكة، وفتنة تقبل من اليمن، وفتنة تقبل من الشام، وفتنة تقبل من المشرق، وفتنة تقبل من المغرب، وفتنة من بطن الشام وهي السفياني)[٤٩]، والسفياني إحدى علامات المهدي.

---

٤٤ عقد الدرر للمقدسي.

٤٥ مصنف عبد الرزاق الصنعاني.

٤٦ عقد الدرر للمقدسي.

٤٧ وهي الملازمة للناس، وهي التي لا تغادر العرب إلا مع خروج الإمام المهدي.

٤٨ الفتن لنعيم بن حماد.

٤٩ مستدرك الحاكم.

محاربة السنة النبوية:

عن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال: (هو رجل من عترتي، يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي)[50]، إذن فمن أعمال وجهاد المهدي أنه سيقاتل حتى يقيم السنة، ومن هذا النص يفهم أنه سيكون حرباً ضدها.

محاربة شرع الله والدعوة إليه:

عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (ذَاكَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: اللَّهَ اللَّهَ قُتِلَ، فَيَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ قَوْمًا قُزُعًا كَقَزَعِ السَّحَابِ، يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَا يَسْتَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْرَحُونَ بِأَحَدٍ، يَدْخُلُ فِيهِمْ عَلَى عِدَّةُ أَصْحَابِ بَدْرٍ، لَمْ يَسْبِقْهُمُ الْأَوَّلُونَ وَلَا يُدْرِكُهُمُ الْآخِرُونَ، وَعَلَى عَدَدِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ، قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ: قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: أَتُرِيدُهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ الْخَشَبَتَيْنِ، قُلْتُ: لَا جَرَمَ وَاللَّهِ لَا أُرِيهِمَا حَتَّى أَمُوتَ، فَمَاتَ بِهَا يَعْنِي مَكَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ)[51].

وعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (يَنْقُصُ الدِّينُ حَتَّى لَا يَقُولُ أَحَدٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: حَتَّى لَا يُقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ، ثُمَّ يَضْرِبُ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ قَوْمًا قُزْعٌ كَقُزْعِ الْخَرِيفِ، إِنِّي لَأَعْرِفُ اسْمَ أَمِيرِهِمْ، وَمُنَاخَ رِكَابِهِمْ)[52].

ولا يعني التلفظ فقط باسم الله، وكذا يدل على أنه من الظلم والجور لا يجرؤ أحداً قول الحق، والحق هو الله ومراده في الأرض والسماء، كذلك فنحن اليوم نعيش في أحوال وفي جميع الدول الإسلامية لا يمكن لأحد الدعوة إلى الدين الحق، إلا أن يوافق هوى الحاكم، وقد جاء في النص: عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمت رسول الله ﷺ يقول: (ويح هذه الأمة من ملوك جبابرة، كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلا من أظهر طاعتهم، فالمؤمن التقي يصانعهم بلسانه، ويفر منهم بقلبه،

---

٥٠ الفتن لنعيم بن حماد.

٥١ المستدرك للحاكم، وصححه الذهبي في التلخيص.

٥٢ الفتن لنعيم بن حماد.

فإذا أراد الله عز وجل أن يعيد الإسلام عزيزاً، قصم كل جبار، وهو القادر على ما يشاء أن يصلح أمة بعد فسادها)[٥٣].

أظلم حكام يلون أمر المسلمين وهم الجبابرة، والتضييق على المسلمين:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال نبي الله ﷺ: (ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع ببلاء أشد منه، حتى تضيق بهم الأرض الرحبة، وحتى تملأ الأرض جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم، فيبعث الله عز وجل رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأرض من بذرها شيئاً إلا أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً إلا صبه الله عليهم مدراراً، يعيش فيهم سبع سنين، أو ثمان أو تسع، يتمنى الأحياء الأموات، مما صنع الله عز وجل بأهل الأرض من خيره)[٥٤].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمت رسول الله ﷺ يقول: (ويح هذه الأمة من ملوك جبابرة، كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلا من أظهر طاعتهم، ..)[٥٥].

قال رسول الله ﷺ: (سيكون بعدي خلفاءُ، ومن بعد الخفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة، ثم يخرج المهدي، من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ثم يؤمر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه)[٥٦]، ومما سبق فإنه يكون على الأمة حكام جبريين طغاة حتى يخرج الإمام المهدي.

أن يكفر بالله جهرة:

عن مطر الوراق قال: (لا يخرج المهدي حتى يكفر بالله جهرة)[٥٧].

وهذا بيِّن في الشعوب الوثنية، وكذا بدت ملامحه بين المسلمين بحجة حرية الأديان، ولا يخفى على أحد أن هذا من دعم أعداء الله من الماسونيين وغيرهم..

---

٥٣ العرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي، عقد الدرر للمقدسي، وأبو نعيم في صفة المهدي.

٥٤ المستدرك على الصحيحين للحاكم، قال الذهبي سنده مظلم.

٥٥ سبق تخريجه.

٥٦ الطبراني في المعجم الكبير.

٥٧ الفتن لنعيم بن حماد.

الاختلاف والتلاعن، والتبري، والتكفير، والاقتتال بين المسلمين:

عن علي بن أبي طالب قال: (لا يخرج المهدي حتى يبصق بعضكم في وجه بعض)[٥٨].

وعن أبي سيعد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (أبشركم بالمهدي، يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً)[٥٩].

وعن أبي عبد الله الحسيين بن علي عليه السلام قال: (لا يكون الأمر الذي ينتظرون – يعني ظهور المهدي عليه السلام – حتى يتبرأ بعضكم من بعض، ويشهد بعضكم على بعض بالكفر، ويلعن بعضكم بعضاً. فقلت: ما في ذلك الزمان من خير. فقال عليه السلام الخير كله في ذلك الزمان، يخرج المهدي، فيرفع ذلك كله)[٦٠].

وعن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، قال: (لا يظهر المهدي إلا على خوف شديد من الناس، وزلزال، وفتنة وبلاء يصيب الناس، وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد في الناس، وتشتت في دينهم، وتغير في حالهم، حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساءاً، من عظم ما يرى من كلب الناس، وآكل بعضهم بعضاً، فخروجه عليه السلام إذا خرج يكون عند اليأس والقنوط من أن نرى فرجاً، فيا طوبى لمن أدركه، وكان من أنصار، والويل كل الويل لمن خالفه، وخالف أمره)[٦١].

وهنا ذكرت النصوص أموراً هي واقعنا ومن قديم الزمن وهي: بصق بعض المسلمين في وجه البعض الآخر، بل وأشد من ذلك وهو التكفير، واللعن، والتبري، والقتل، بين أبناء الدين الواحد، وهو الاختلاف بين الأمة. تشتت في الدين، وفي العروبة، وفي الاحوال. اليأس والقنوط في الأمة، مما حل بها. الفتن. الزلازل. وأنه لا يرتفع ذلك إلا في زمن المهدي.

---

٥٨ الفتن لنعيم بن حماد.

٥٩ عقد الدرر للمقدسي.

٦٠ عقد الدرر للمقدسي.

٦١ عقد الدرر للمقدسي.

زيادة القتل بين العرب:

عن ابن سيرين قال: (لا يخرج المهدي حتى يقتل من كل تسعة سبعة)[٦٢].

وعن ابن شوذب عن بعض أصحابه قال: (لا يخرج المهدي: حتى لا يبقى قيل، ولا ابن قيل إلا هلك والقيل: الرأس)[٦٣]، وقيل: هذه في اليمن، لبيان لفظ (قيل).

وعن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، قال: (لا يظهر المهدي، حتى يشمل الناس بالشام فتنة، يطلبون المخرج منها فلا يجدونه، ويكون قتل بين الكوفة والحيرة)[٦٤].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن، فلا تسبوا أهل الشام، وسبوا ظلمتهم، فإن فيهم الأبدال، وسيرسل الله تعالى إليهم سيباً من السماء فيغرقهم، حتى لو قاتلهم الثعالب غلبتهم، ثم يبعث الله عز وجل عند ذلك رجلاً من عترة الرسول ﷺ فيرد الله تعالى إلى الناس ألفتهم ونعمتهم)[٦٥].

وعن علي بن أبي طالب: (ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن، فلا تسبوا أهل الشام وسبوا ظلمتهم، فإن فيهم الأبدال وسيرسل الله إليهم سيباً من السماء فيغرقهم، حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم، ثم يبعث الله عند ذلك رجلاً من عترة الرسول الله ﷺ في اثني عشر ألفاً إن قلوا، وخمسة عشر ألفاً إن كثروا، إمارتهم أو علامتهم: أمت أمت على ثلاث رايات، يقاتلهم أهل سبع رايات، ليس من صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك، فيقتتلون ويهزمون، ثم يظهر الهاشمي[٦٦]، فيرد الله إلى الناس ألفتهم ونعمتهم فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال)[٦٧].

---

٦٢ الفتن لنعيم بن حماد.

٦٣ الفتن لنعيم بن حماد.

٦٤ عقد الدرر للمقدسي.

٦٥ عقد الدرر للمقدسي.

٦٦ يقصد به المهدي عليه السلام.

٦٧ المستدرك للحاكم، صححه الذهبي في التلخيص.

وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه قال: (يكون بالشام فتنة، أولها كلعب الصبيان، كلما سكنت من جانب طمت من جانب آخر، فلا تتناهى حتى ينادي منادي من السماء: ألا إن الأمير فلان)[٦٨].

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: (إذا اختلف رمحان بالشام لم ينجلِ إلا عن آية من آيات الله عز وجل. قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام، يهلك فيها أكثر من مائة ألف، يجعلها الله تعالى رحمة للمؤمنين، وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين[٦٩] الشهب[٧٠] المخذرفة[٧١]، والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام، وذلك عند الجوع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من قرى دمشق، يقال لها: حرستا[٧٢]، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد[٧٣] من الوادي اليابس، حتى يستوي على منبر دمشق، فإذا كان ذلك فانظروا خروج المهدي)[٧٤].

قتال أهل اليمن مع أهل الحجاز:

قال الوليد: (يلي المهدي فيظهر عدله، ثم يموت، ثم يلي بعده من أهل بيته من يعدل، ثم يلي منهم من يجور ويسيء، حتى ينتهي إلى رجل منهم، فيجلي اليمن إلى اليمن، ثم يسيرون إليه فيقتلونه، ويولون عليهم رجلاً من قريش يقال له: محمد، وقال بعض العلماء: أنه من اليمن على يدي ذلك اليماني تكون الملاحم)[٧٥].

---

٦٨ عقد الدرر للمقدسي.

٦٩ البراذين: جمع برذون، التركي من الخيل، وقد يطلق على الدابة التي تحمل الأثقال.

٧٠ الشهب: صفة لون البراذين، والشهبة: اللون الأبيض الذي يتخلله سواد.

٧١ المخذوفة: المسرعة، والمخذوفة: ما ترى الإبل بأخفافها من الحصى إذا أسرعت. اللسان مادة خذرف.

٧٢ حرستا مدينة سورية في محافظة ريف دمشق تقع شرق دمشق على الجهة الشرقية للطريق الرئيسي المنطلق من مدينة دمشق باتجاه مدينة حمص وفيها مركز ناحية إدارية يتبع منطقة دوما.

٧٣ لا يصح هذا اللفظ، حيث ورواية أكل كبد حمزة بن عبدالمطلب من قبل هند بنت عتبة ضعيفة لا يحتج بها.

٧٤ عقد الدرر للمقدسي.

٧٥ الفتن لنعيم بن حماد.

قتل خليفة العراق، وعلى إثر ذلك يخرج رجل يفسد فيها:

أن رسول الله ﷺ قال: (... فإذا قتل الخليفة بالعراق خرج عليهم رجل مربوع القامة، كث اللحية، أسود الشعر، براق الثنايا، فويل لأهل العراق من أتباعه المراق، ثم يخرج المهدي منا أهل البيت، فيملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً)[٧٦].

الجوع والأمراض قبل خروج المهدي:

عن سفيان الكلبي قال: (في سبع البلاء وفي ثمان الفناء وفي تسع الجوع)[٧٧]، وفي العقد جاء: عن سفيان الكلبي قال: (في سنة سبع البلاء، وفي سنة ثمان الضنى[٧٨]، وفي سنة تسع الجوع)[٧٩].

وعن الإمام الباقر: (لا يقوم المهدي إلا على خوف شديد وطاعون قبل ذلك)[٨٠].

وفي ذلك وفي بيان شدة الجوع وكيف سيضحي الناس بأشياء غالية لأجل الطعام فقد ورد عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ قَالَ: (لَا يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِالْجَارِيَةِ الْحَسْنَاءِ الْجَمَالَ فَيَقُولُ: مَنْ يَشْتَرِي هَذِهِ بِوَزْنِهَا طَعَامًا؟ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ)[٨١].

تقطع الطرق والسبل في جزيرة العرب:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إذا انقطعت التجارات والطرق وَكَثُرَتِ الْفِتَنُ..)[٨٢]، وفي سياق الأثر حتى يبايع للمهدي، يأتي لاحقاً..

وعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون عند انقطاع من الزمان، وظهور من الفتن، رجل يقال له: المهدي، عطاؤه هنياً)[٨٣].

---

٧٦ عقد الدرر للمقدسي.

٧٧ الفتن لنعيم بن حماد.

٧٨ الضنى: المرض.

٧٩ عقد الدرر للمقدسي.

٨٠ أنت الآن في عصر الظهور لفارس فقيه.

٨١ الفتن لنعيم بن حماد.

٨٢ الفتن لنعيم بن حماد.

٨٣ عقد الدرر للمقدسي.

وروي: (.. لا يقوم القائم[٨٤] عليه السلام على خوف شديد وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس وطاعون[٨٥] قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس، وتشتت في دينهم، وتغير من حالهم، حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساءً من عظم ما يرى من كلب الناس، وأكل بعضهم بعضاً، وخروجه إذا خرج عن الإياس والقنوط)[٨٦].

عن عبد الله بن عمرو، قال: (يحج الناس معاً، ويعرفون معاً، على غير إمام، فبينما هم نزول بمنى إذا أخذهم كالكلب، فثارت القبائل بعضها على بعض، فاقتتلوا حتى تسيل العقبة دماً، فيفزعون إلى خيرهم،..)[٨٧]، وخيرهم هو الإمام المهدي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أحسبه رفعه، قال: (يسمع في شهر رمضان صوت من السماء، وفي شوال همهمة، وفي ذي القعدة تحزب القبائل، وفي ذي الحجة يسلب[٨٨] الحاج، وفي المحرم الفرج)[٨٩].

وما سبق ما هو إلا غيض من فيض، وعلى الرغم من ضعف أسانيد بعض الأحاديث والآثار السابقة، إلا أن لها شواهد ترفع من طمأنينة القلب للاحتجاج بها.

الأثر يقدم على الرأي:

وفي القاعدة الفقهية المشهورة: أن الأثر الضعيف يقدم على الرأي.

فإذا أوردت آثاراً تبين في معانيها أن هناك إعداداً للمهدي من قبل أصحابه، وأنه لا يصح القول: أن المهدي يخرج فجأة.

وسأورد نصوصاً وردت في أحاديث وآثار شتى، ومهما كان سندها، حيث والأمر ليس في باب الأحكام، أو العبادات، فيؤخذ بها، وكذلك وعلى أقل التقديرات أنه يستأنس بها، وبمجملها ترقى إلى دليل.

---

٨٤ القائم: هو الإمام المهدي.

٨٥ أي وباء يسمى عند العرب طاعون، ولا يعني ذات المرض.

٨٦ عقد الدرر للمقدسي.

٨٧ الفتن لنعيم بن حماد.

٨٨ وفي رواية لفظ ينهب.

٨٩ عقد الدرر للمقدسي.

ومنها:

عن كَعْبٍ، قَالَ: (... فَيَتَرَاسَلُ أَهْلُ الْيَمَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَجْتَمِعُوا كَاجْتِمَاعِ قُزَعِ الْخَرِيفِ، فَيَنْصِبُونَ مِنْ حَيْثُ كَانُوا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ عُصَبًا عُصَبًا، ..)[90]، وهنا بيان تراسل أهل اليمن فيما بينهم وهذا لا يكون إلا لمعارف يعرفونهم ويعرفون ما سبب التراسل، كذلك مجيئهم عصباً عصباً أي جماعات جماعات، ومتى وكيف تجتمع كل هذه لو كانت الأحداث فجأةً، ولو زيد وعرفنا أن مجيئهم إلى الطائف حيث يختبئ المهدي وأصحابه في ليلة واحدة، فالسرعة هذه في التجمع دليل واضح على تراتيب كانت من ذي قبل.

وعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (يَنْقُصُ الدِّينُ حَتَّى لَا يَقُولُ أَحَدٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: حَتَّى لَا يُقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ، ثُمَّ يَضْرِبُ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ قَوْمًا قُزْعٌ كَقُزْعِ الْخَرِيفِ، إِنِّي لَأَعْرِفُ اسْمَ أَمِيرِهِمْ، وَمُنَاخَ رِكَابِهِمْ)[91]، وفي هذا الأثر بيان أنهم قد عينوا أميراً عليهم، وجهزوا مركبهم، ونسقوا أين ينزلون، وليس هذا كله إلا عن ترتيب مسبق.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: (إذا انقطعت التجارات، والطرق، وكثرت الفتن، خرج سبعة رجال علماء من أفق شتى على غير ميعاد، يُبايع لكل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، حتى يجتمعوا بمكة، فيلتقي السبعة فيقول بعضهم لبعض: ما جاء بكم؟ فيقولون: جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه هذه الفتن، وتفتح له القسطنطينية قد عرفناه باسمه، واسم أبيه، وأمه، وحليته، فيتفق السبعة على ذلك، فيطلبونه فيصيبونه بمكة، فيقولون له: أنت فلان بن فلان؟، فيقول: لا بل أنا رجل من الأنصار، حتى يفلت منهم فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به، فيقال: هو صاحبكم الذي تطلبونه، وقد لحق بالمدينة، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة، فيطلبونه بمكة فيصيبونه، فيقولون: أنت فلان بن فلان وأمك فلانة بنت فلان وفيك آية كذا وكذا؟ وقد أفلت منا مرة فمد يدك نبايعك، فيقول: لست بصاحبكم أنا فلان بن فلان الأنصاري، مروا بنا أدلكم على صاحبكم، حتى يفلت

٩٠ الفتن لنعيم بن حماد.

٩١ الفتن لنعيم بن حماد.

منهم فيطلبونه بالمدينة، فيخالفهم إلى مكة فيصيبونه بمكة عند الركن، فيقولون: إثمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمدد يدك نبايعك هذا عسكر السفياني قد توجه في طلبنا عليهم رجل من جرم، فيجلس بين الركن والمقام فيمد يده، فيبايع له ويلقي الله محبته في صدور الناس، فيسير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل. عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: يأتيه عصاب العراق، وأبدال الشام فيبايعونه بين الركن والمقام فيلقي الإسلام بجرانه[٩٢])[٩٣].

ولكن يثار مسائلة شك في الأثر ذاته الذي رواه ابن مسعود والذي يخبر عن أن العلماء يجتمعون من غير ميعاد، فيقال: أن هذه الجملة بيان للصدفة، وهذا لا يصح، لأن لكل شيء بيان وتوضيح، ولأنه بذلك سيتناقض مع الأدلة الأخرى، وإشكال هذا أورد رسالة من إعداد الشيخ (أبو محمد المدني) تحت اسم (إرشاد الحيران لبيعة مهدي آخر الزمان)، وفيها: (لاشك أن هذا الحديث وإن كان موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه، إلا أن له حكم الرفع لأنه من الغيب الذي لا يتأتى إلا بوحي فله حكم الرفع لأنه لا يصدر إلا من جهة النبوة، وقد ذكر العلماء أن ما كان هذا شأنه فإنه يأخذ حكم المرفوع من النبي ﷺ، وأيضاً فإن متن هذا الحديث لا يتعارض مع جملة الأحاديث الواردة في المهدي عليه السلام، كبيعته بين الركن والمقام مكرها وعياذه ببيت الله الحرام وذكر السفياني وغيرها.

وكذلك العمل بمفهوم هذا الحديث هو مقدم على العمل بالرأي، وإذا كان الحديث الضعيف يُعمل به في فضائل الأعمال، فأي فضيلة أعظم وأشرف من إقامة خلافة راشدة على منهاج النبوة بنصرة وبيعة المهدي عليه السلام ؟!!

[فجملة]: (إذا انقطعت التجارات والطرق، وكثرت الفتن، خرج سبعة رجال علماء من أفق شتى).

٩٢ بِكَسْرِ الْجِيم ثُمَّ رَاء بَعْدهَا أَلِف ثُمَّ نُون هُوَ مُقَدَّم الْعُنُق، وقيل: الْجِرَان بَاطِن الْعُنُق وَمِنْهُ حَدِيث عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا: حَتَّى ضَرَبَ الْحَقّ بِجِرَانِهِ. أَيْ قَرَّ قَرَاره وَاسْتَقَامَ كَمَا أَنَّ الْبَعِير إِذَا بَرَكَ وَاسْتَرَاحَ مَدَّ عُنُقه عَلَى الْأَرْض.

٩٣ الفتن لنعيم بن حماد.

فيه دلالة على حدوث حرب كبرى تدور أحداثها في جزيرة العرب وتحديداً في بلاد الحرمين – قتال الثلاثة في الحرم – بدليل أن هذه الحرب في تلك المنطقة أثرت على العالم كله اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً بما فيها بلدان هؤلاء العلماء السبعة.

أضف إلى ذلك: أن العلماء كانوا ينتظرون بفارغ الصبر حصول هذه الأحداث في بلاد الحرمين كي يبدأوا في مهمتهم الخاصة .

(على غيرِ ميعاد).

شبهه وردها: هذه الجملة قد يفهمها البعض فهما خاطئاً ثم يبنوا عليها أمورا تخالف الشرع والعقل وتخالف سنن الله في الكون من العمل وبذل الأسباب.

فمنهم من يقول إن اجتماع العلماء مسألة قدرية بحتة لا تحتاج إلى عمل فلا تشغلوا أنفسكم بالبحث عن هؤلاء العلماء!!

فيظن هذا الجاهل أن الأمور كلها محض القدر وأنه لا فائدة من العمل والإعداد لنصرة وبيعة المهدي عليه السلام.

الجواب: حتى نفهم هذه العبارة جيداً علينا أن ننظر ونتأمل في سياق الحديث من أوله إلى آخره بدون أن نقتطع من الحديث ما يوافق هوانا.

المقصود بلفظة: (على غيرِ ميعاد)؛ إن العلماء اجتمعوا على غير موعد محدد بدقة زمنية..

فهم ربما حددوا لاجتماعهم أحداثاً لا زماناً محدداً باليوم والساعة فحصلت أموراً بتقدير الله أدت إلى انقطاع التواصل فيما بينهم ومنها تلك الحرب الطاحنة التي أدت إلى انقطاع الطرق والتجارات وربما انقطعت شبكات التواصل والاتصالات، فخرج كل عالم منهم من بلده مع أنصاره نحو مكة بعد [أو أثناء] اقتتال الثلاثة في بلاد الحرمين [و] عليه إن يجتمع ببقية العلماء، فاجتمعوا هناك على غير ميعاد، – لو لم يكونوا يعرف بعضهم بعضاً وكان بينهم تواصل وتنسيق وعمل مشترك لنصرة دين الله فقل لي: بربك كيف سيجتمعون في نفس الزمان والمكان في ظل فتن مظلمة مدلهمة تطيش لها عقول الرجال؟!! –، ولماذا جمع كل عالم منهم بيعات وعهود من مئات الرجال؟!!.

بل لو لم يكونوا على هذه الحال من المعرفة والتواصل فكيف سيأمن بعضهم بعضا؟!!.

وكيف ستحصل الثقة بينهم في ظل تلك الأوضاع العصيبة ؟!!.

لاسيما وهم يعلمون أنهم في زمان (لا يأمن الرجل جليسه).

[وجملة]: (يبايع لكل رجل منهم ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً).

نفهم من هذه الجملة: قيام سبعة علماء ربانيين موفقين بعمل اجتهادي لإنشاء مشروع عملي حركي هدفه الإعداد والترتيب لنصرة وبيعة المهدي عليه السلام.

ونستنبط من هذه الجملة إشارة إلى علو همة وعظم منزلة وصلاح وخيرية أولئك العلماء السبعة بدليل وقرينة بيعة الناس لهم من أجل العمل على إقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة وفي هذه البيعة تزكية لهؤلاء العلماء وأنصارهم فهم أهل الحل والعقد لتلك الخلافة الراشدة.

ونحن نتحدث عن علماء أخذوا زمام المبادرة والقيادة لإقامة هذا الأمر العظيم، فهم أهل علم وبصيرة ودين وغيره، اصطفاهم الله تعالى واختارهم من دون سائر الناس لهذا الشرف والفضل.

فأولئِك العلماء السبعة لهم رصيد كبير من البحث والدعوة والتصنيف في شأن المهدي عليه السلام قبل اجتماعهم في مكة بين الركن والمقام.

ونتج عن ذلك الجهد والاجتهاد والطلب في ذلك الأمر أن وفقهم الله للتعرف على شخصية بارزة انطبقت عليها وتحققت مجمل الصفات الواردة في المهدي عليه السلام مع توافق عجيب لأقدار الله تعالى على تلك الشخصية. وهذه الأقدار الإلهية جاءت متوافقة ومتناغمة تماماً مع ما ورد في الأحاديث والآثار جاء في هذا الحديث قول العلماء السبعة :(قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه وحليته).

سؤال: هل يُعرف المهدي قبل بيعته؟!!

الجواب: نعم يُعرف المهدي قبل بيعته على غلبة الظن.

ويتفق السبعة على ذلك .

الدليل: قول أولئِك العلماء عن المهدي عليه السلام: (قد عرفناه !!...).

وتأمل معي في هذه اللفظة: (قد عرفناه).

فلو لم يحددوا شخصاً بعينه لما قالوا : (قد عرفناه)!!.

كان بإمكانهم إن يقولوا دعونا نبحث عن المهدي في مكة أو في الحرم.

المهدي عليه السلام يكون معروفاً عند بعض العلماء السبعة [أو كلهم].

وعند سؤال العلماء للمهدي عن حقيقة شخصيته يرد عليهم قائلاً: (إنما أنا رجل من الأنصار).

وفي هذا إشارة أن المهدي سيكون من ضمن الأنصار الذين بايعوا العلماء على نصرة المهدي عليه السلام.

ونلاحظ أنه بعد فرار المهدي منهم يقوم العلماء بالبحث والسؤال عن المهدي عن طريق أشخاص من الأنصار لهم معرفة وعلاقة شخصية بالمهدي عليه السلام.

فتأمل كيف أن العلماء يبحثون عن شخص بعينه معلوم لديهم باسمه واسم أبيه وأمه وصفاته فلا يعقل أن يبحث العلماء عن شخص مجهول في خضم ألاف من الحجاج والزوار لبيت الله الحرام.

لاسيما في ظل قتال وفوضى سياسية وخوف وترقب من الأجهزة الأمنية خشية ظهور المهدي عليه السلام.

ولا يعقل أيضاً أن يقوم العلماء بسؤال الدهماء من عامة الناس عن شخص المهدي لما يعانيه الناس من هلع ورعب جراء البلاء الذي حل بهم.

حينما يقول المهدي عليه السلام للعلماء: (لست بصاحبكم مروا بنا أدلكم على صاحبكم حتى يفلت منهم).

نفهم أن العلماء لم يكن في حساباتهم وظنهم أحد غير شخصية محددة معروفه أتفقوا عليها على غلبة الظن بدليل أنهم لم يهتموا بكلام المهدي حينما دلهم على شخص آخر.

عن ابن عباس: (إذا خُسف بجيش السفياني قال صاحب مكة (المهدي)..هذه العلامة التي كنتم تخبرون بها)؟!!، وفي هذه اللحظة يتحول الشك عند بعض العلماء والأنصار إلى يقين بعد الخسف بجيش المجرمين.

(فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به).

إذا كان هؤلاء السبعة هم علماء في باب أشراط الساعة وعلامات وصفات المهدي عليه السلام فمن يا ترى سيكون أكثر منهم علما ومعرفة وخبره؟!!.

الجواب: إن هؤلاء العلماء وصلتهم أخبار عن وجود شخصية حقيقية تحققت فيها صفات المهدي عليه السلام فهم سمعوا ولم يروا تلك الشخصية أو يخالطوها وليس الخبر كالمعاينة!!.

وفي هذا دلالة وإشارة لطيفة على أن هناك أشخاص أكرمهم الله ووفقهم لمعرفة وصحبة المهدي قبل اجتماعهم بأهل العلم في مكة..

وهؤلاء الأشخاص سماهم الحديث (أهل الخبرة والمعرفة)، ولهذا كانوا هم المرجعية للعلماء السبعة!!)[٩٤].

هل يعرف المهدي قبل البيعة؟؟:

وفي أحاديث وآثار يمكننا الاستدلال على أن المهدي يعرف باسمه وصفته لدى حكام ظالمين فيلقى منه المهدي وأهل بيته وبعض أصحابه منه بلاء عظيم، وهذا علاوة على ما جاء في الأثر السابق، من معرفة أصحابه أهل الحل والعقد به...

التوجه إلى مكة للبيعة:

روي: (...، فيخرج من قرية من قرى جُرش، في ثلاثين رجلاً، فيبلغ المؤمن خروجه، فيأتونه من كل أرض، يحنون إليه كما تحنون إليه كما تحن الناقة إلى فصيلها، فيجيء فيدخل مكة، وتقام الصلاة، فيقولون: تقدم يا ولي الله. فيقول: لا أفعل، أنتم الذي نكثتم وغدرتم. فيصلي بهم رجلٌ، ثم يتداعون عليه بالبيعة تداعي الإبل الهيمِ يوم وردوها حياضها، فيبايعونه)[٩٥]، وهنا ترتيب خروج المهدي، ولحاق أصحابه به كي تتم البيعة له هنالك.

البحث عن المهدي في مكة:

الأثر السابق، الذي رواه عبدالله بن مسعود، وفيه وفي شرح الشيخ أبو محمد المدني بيان شامل شاف لكل شيء..

---

٩٤ رسالة للشيخ أبو محد المدني، غير منشور.

٩٥ عقد الدرر للمقدسي.

وعن أبي جعفر محمد بن علي، عليهما السلام، فقال: (يكون لصاحب هذا الأمر يعني المهدي عليه السلام غيبة في بعض هذه الشعاب، وأومأ بيده إلى ناحية ذي طوى[٩٦]، حتى إذا كان قبل خروجه، انتهى المولى الذي يكون معه حتى يلقى بعض أصحابه، فيقول: كم أنتم ههنا؟ فيقولون: نحو من أربعين رجلاً. فيقول: كيف أنتم لو رأيتم صاحبكم؟ فيقولون: والله لو ناوأ الجبال لناوأناها معه[٩٧] ثم يأتيهم من القابلة، فيقول: استبرئوا[٩٨] من رؤسائكم أو خياركم عشرة، فيستبرئون له، فينطلق بهم، حتى يلقوا صاحبهم، ويعدهم الليلة التي تليها. يذهب إليه نفر من كبار الناس وعلمائها بدليل محاجاتهم له ونصحهم له، وأن السفياني[٩٩] يطلبه ويطلب من يبحث عنه لأنه قد انتشر خبره..، وأن الأمر مطلوب منه على الضرورة. فتكون بيعته بعد صلاة العشاء بين الركن والمقام)[١٠٠]، أليس في بيان هذا الأثر إشارات على ترتيب وعلى معرفة المهدي قبل البيعة؟!..

ملاحقة المهدي وقتل أحد أصحابه:

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام ..)[١٠١]، أليس من يخرجه من بيته يعرفونه قبل ذلك، ويعرفون صفاته؟؟!!.

وعن أبي رومان قال: (يبعث بجيش إلى المدينة فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد، فعند ذلك يهرب المهدي والمبيّض[١٠٢]، من المدينة إلى مكة فيبعث في طلبهما،

---

٩٦ وادي في مكة.

٩٧ أي ناهضهم وعاداهم،

٩٨ أي اختاروا.

٩٩ السفياني هذا: هو أول من يهلك من السفيانيين الذين يحاربون المهدي، والذي يكون على الحجاز، وكأنه الذي يولى قبل الاقتتال.

١٠٠ عقد الدرر للمقدسي.

١٠١ سنن أبو دواد، مسند أحمد، صحيح ابن حبان، مسند أبي يعلى.

١٠٢ في رواية: منصور، وفي أخرى: المنصور، وفي ثالثة النفس الزكية، وهو أحد أصحاب الإمام المهدي.

وقد لحقا بحرم الله وأمنه)[١٠٣]، أليس من يبحثون عنه هو المهدي وهم يعرفون أصحابه كذلك، فيقتل صاحبه، ويفر المهدي، وذلك قبل البيعة.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: (إذا قتل النفس الزكية وأخوه[١٠٤]، يقتل بمكة ضيعة[١٠٥]، نادى منادٍ من السماء إن أميركم فلان وذلك المهدي الذي يملأ الأرض حقا وعدلاً)[١٠٦]، والنفس الزكية هنا هو المنصور أو المبيض المذكور فيما سابق.

وعن يوسف بن ذي قربات، قال: (يكون خليفة بالشام يغزو المدينة، فإذا بلغ أهل المدينة خروج الجيش إليهم، خرج سبعة نفر منهم إلى مكة فاستخفوا، فيكتب صاحب المدينة إلى صاحب مكة، إذا قدم عليك فلان وفلان يسميهم بأسمائهم فاقتلهم، فيعظم ذلك صاحب مكة، ثم بينهم، فيأتونه ليلا ويستجيرون به، فيقول: اخرجوا آمنين، فيخرجون ثم يبعث إلى رجلين منهم فيقتل أحدهما والآخر ينظر، ثم يرجع إلى أصحابه فيخرجون حتى ينزلوا جبلا من جبال الطائف، فيقيمون فيه ويبعثون إلى الناس)[١٠٧]، يوصف المهدي وصاحبه بالأسماء، فيقتل صاحب المهدي والمهدي ينظر..

ملاحقة أناس ناصروا المهدي وهم من آل البيت، وحبس نفر منهم، ثم إخراجهم من السجن بعد فتح الحجاز:

وعن أبي جعفر قال: (فيبلغ أهل المدينة فيخرج الجيش إليهم فيهرب منها من كان من آل محمد ﷺ إلى مكة يحمل الشديد الضعيف والكبير الصغير فيدركون نفساً من آل محمد ﷺ فيذبحونه عند أحجار الزيت)[١٠٨]، وهذه الرواية تفسر شيء مما قبلها.

وعن الإمام الباقر قال: (ويبعث[١٠٩] بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً، ويهرب المهدي والمنصور منها، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم، ولا يترك منهم أحد إلا حُبس.

---

١٠٣ المستدرك للحاكم.

١٠٤ أي أخوه في دينه وصاحبه.

١٠٥ أي اغتال غدراً.

١٠٦ الفتن لنُعيم بن حماد.

١٠٧ العرف الوردي للسيوطي.

١٠٨ الفتن لنعيم بن حماد.

١٠٩ أي السفياني، سفياني الحجاز.

ويخرج الجيش في طلب الرجلين)[١١٠]، والرواية الآتية تشير إلى رجل يقتله جيش أسرة حاكمة تحكُم الحجاز تطارد المهدي ومن معه، وهو جيش السفياني الحجازي، وتشير الرواية أن السفياني يعرف من يلاحق..

وعن أبي جعفر قال: (...، فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدة أهل بدر على غير ميعاد، قرعاً كقرع الخريف، رهبان بالليل أسد بالنهار، فيفتح الله للمهدي أرض الحجاز ويستخرج من كان في السجن من بني هاشم، ..)[١١١]، والرواية تشير أن من بني هاشم قد حبسوا في الحجاز، وهم من آل المهدي، وهنا إشارة على معرفة الرجل وأهله وأصحابه..

اجتماع الأنصار في أقل من نصف ليلة:

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: (...، ثم يجمعهم الله عز وجل، من مطلع الشمس إلى مغربها، في أقل من نصف ليلة، فيأتون مكة)[١١٢]، وكيف يجتمعون حول المهدي في أقل من نصف ليلة إذا لم يكن هناك ترتيب مسبق؟؟!!.

الخلاصة:

وإن كنت لم أسرد الأحداث على ترتيبها التي كانت أو ستكون، إلا أني أحببت أن أسرد أكثر من حديث أو أثر أبين فيه أن المهدي يعرف قبل البيعة، وأنهم قد أعدوا لبيعة إعدادات تدحض فكرة أو قول أن المهدي يخرج فجأة..

---

١١٠ الفتن لنعيم بن حماد.

١١١ الفتن لنعيم بن حماد.

١١٢ عقد الدرر للمقدسي.

الخلاصة والنتيجة

أنه ومما سبق فلا يمكن أن يكون هنالك عمل دونما ترتيب أو إعداد، وهذه سنة الله في الخلق، فلماذا إذا تكلمنا على أمر المهدي، فلا يصدر عند العامي العاقل أنه لا بد وأن يكون هناك ترتيب وإعداد له، ومن التساؤلات أنه يقول:

كيف سيظهر أمره هكذا فجأة؟!..

من سيجمع له الجيوش والأسلحة؟!..

كيف سيهزم دول الشر الكافرة، والمنافقين معهم؟؟!!.. ونحو هذه التساؤلات..

ومن الغريب أن هذه التساؤلات لا تصدر عند العلماء فلماذا؟؟!!..

فهل منعهم خوفاً من السلطان، أو خوفاً على السلطان.

وقد عرفنا الخوف من السلطان فكيف الخوف على السلطان؟

الجواب: وفي إحدى المقالات كتبها أحد الكتُّاب الأوروبيين حيث كتب: ماذا لو عاد المسيح عيسى؟؟!!، وفحوى ما كتب، أن المسيح عيسى إذا نزل فإن أول من سيحاربه هم رجال الكنيسة!!، لأنهم جعلوا الدين حسب هواهم، فسيكفرون بما جاء حتماً.

وقيل: إن علماء اليوم يريدون الله على دينهم، ولا يريدون أن يتدينوا بدين الله تعالى.

فهم لا يريدون الدين إلا حسب هواهم وهوى السلطان، فنعوذ بالله من الشيطان ومنهم.

وهذه الأمثال كما تقال في المجتمع الأوروبي، فإنها وبالأحرى تقال عندنا واليوم خاصة.

وفي آخر الخلاصة:

فإني أدعو كل مسلم إلى قبول هذه الحقيقة، وعدم إنكار العمل والإعداد للمهدي، وهذا بداية الأمر.

أما من يجد في نفسه الخير، فليسعَ إلى هذا العمل العظيم.

فإنك إن عملت عليه فإنك تكون ممن يعملون على إقامة خلافة راشدة على منهاج النبوة.

فإن علمنا أن اليهود وبعض النصارى والماسونية يمهدون للمسيح الدجال، وإذا علمنا أن كثير من النصارى يمهدون للمسيح عيسى عليه السلام، وما تمهيدهم؟، والجواب: أن تمهيدهم سواء كانوا على الحق أم على الباطل، فإنهم يمهدون الأرض التي يخرج فيها أو ينزل فيها، وحسب نصوص وتنبؤات عندهم.

وأنهم لا يعجلون من قدر الله من شيء، فقد قال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}[١١٣]، والأجل قد يطلق على كل أمر مستقبلي غيبي إنما هذا الإعداد أو التمهيد إلا قدراً من أقدار الله تعالى، يسير حيث شاء تعالى، ولكن له تعالى حكم فيه، منها:

رحمة بالناس، كي يستعدوا للنجاة من الفتن، كما سُيفر من فتنة الدجال.

كي يستعدوا لنصرة الحق، كما أصحاب المهدي..

بعض التساؤلات البسيطة:

- كيف ينتصر الإمام المهدي على أعدائه؟.
- كيف سيواجه الدول الكبرى القوية، ولديها نووي، ومختلف الأسلحة الحديثة؟.
- كيف سينشر العدل وقد أصبح الناس على خلاف الدين؟.

وكل ما سبق من تساؤلات يجاب عنها بأمور منها:

الأول: أن الله تعالى سيؤيده وينصره، لأن أمره حق، وقد وعد بذلك..

الثاني: سيسخر الله له من ينصره من العلماء السبعة، إلى من يبايعه، حتى بقية أهل الإسلام، وكذلك من سيسلم من النصارى، حال الملحمة الكبرى، وسيسخر الله له العلماء بشتى تخصصاتهم فتكون الدولة الإسلامية على يده على أفضل صورة حضارية اليوم زمن التكنولوجيا والحياة الحديثة، ويأتي بيان هذا في مواضعها..

الثالث: سيسخر الله له الأسباب، من قوة السلاح، وغيرها..، ما توازي ما مع الكفار منه، أما النووي فلن يمكنهم الله من استخدامه.

لأن السنة الإلهية أن يوجه هذه القوة المحاربة للدين قوة مماثلة ولو بصورة أقل، أي لا يمكن أن يجعل الله المسلمين يواجهوا الكفار وبما لديهم من إمكانيات بالسيف

---

١١٣ الأعراف: ٣٤.

والرمح فقط، وإن كان تعالى قادر على كل النواميس والقوانين الكونية لأنها مخلوقة له سبحانه، ولكن في هذا التسخير للقوة والرجال أيضاً حكمة..، وكأن منها تقريب الحق حسب مفهوم البشر في الزمن هذا..

ومما قاله الإمام الألباني في جوابه على سائل يقول: هل يمكن خروج المهدي في زمن التكنولوجيا والسلاح الحديث وكل هذه الأمور والظواهر؟، فأجاب: (أنه يمكن ذلك فيجعله الله حسرة في قلوبهم ونصرة للمسلمين)[١١٤]، فلم يستبعد الإمام أن يكون خروج المهدي هذا الزمن البتة، وإلا لعقب على سؤال الشخص، وكذا قال بما يقوله العالم الحاذق حيث أن الإيمان بالله عندما يتكامل فإن الأسباب تتساهل، وتطيع خالقها، فيجعلها كيف يشاء.

أما كيف لنا في الإعداد للمهدي؟

وهذا التساؤل عظيم جداً، وفي بعض النقاط أحاول سرد ما يمكننا من خلاله الإجابة ولو بصورة تقريبية:

- إصلاح النفس، دينياً وعلماً وخبرةً، حتى تكون جديرة بأن تكون من أصحاب المهدي، وأن يكتب الله الخيرية لها..
- نشر خبره، وصفاته، وعلاماته، ونحو هذا، بين الناس.
- عدم محاربته قبل خروجه، وهو بتكذيبه، وتكذيب أمر الإعداد له.
- عدم محاربته حال خروجه.

ومن خلال ما سبق وجب علينا أمة الإسلام أن نعد ونهيئ أنفسنا والأسباب قدر الاستطاعة لخروج المهدي، وإقامة الخلافة الراشدة الأخرى، لأن هذه الخلافة ستحتاج منا إلى عمل وجهد وطاقات قصوى، فالجهد ونحوه على قدر الهدف، وما أعظم من هدف إقامة الخلافة على منهج النبوة، والتي بشر بها نبينا ﷺ.

وفقني الله وكل المسلمين لما يحب ويرضى..

وفي آخر المطاف:

---

١١٤ سلسلة صوتية بعنوان: الهدى والنور، شريط رقم ١٤٩، ا.هـ.

إن أحسنت فمن الله تعالى...

وإن أسئت فمن نفسي والشيطان...

والله الموفق وهو خير مولى وخير نصير،،،

الفهرس